الايمان الذي أضعناه

☆

فورة

الدماء العربية التي تغلي في ثرى فلسطين يجب ان تفتح العين على كثير من الحقائق النيرة التي غابت عن اذهاننا طوال هذه الفترة الكسيحة منذ كانت الشعوب العربية تنام او تغازل النوم .

وقد كانت فلسطين قضية قبل ان تكون خصاماً ، وكانت دعوى قبل ان تكون حرباً ، وكانت نذيراً بالشر قبل ان يقع الشر . . ولكن بعض القلوب التي غلفها الجبن ، والنفوس التي خالطها الضعف ، والعقائد التي زلزلتها القوة ، هذه كلها حالت بين العرب وبين ان يدركوا الحقائق الضخمة الاولى التي هي ابجدية الحقائق في حياة الشعوب التي تريد العيش في وهج الكرامة ، وشموخ الانفة ، واستعلاء المجد .

والحقيقة الاولى التي تبرز اليوم قبل كل حقيقة اخرى ، سافرة سفور الشمس اذ تطرد الضباب المتكاثف وتحول بينه وبين ان يرين على النور ، وتجعل من وجودها دليلاً على وجود غيرها وسبيلاً الى وجود غيرها ، هي ان الشعوب العربية كلها قد اهملت حق الحياة حين اهملت حق القوة . . الشعوب العربية كلها سواء في ذلك ، هذه التي تعيش في مطاوي البيد وعلى ملاسة الرمال ، او تلك التي تعيش في مشابك الصخور او ثنايا الجبال ، او الاخرى التي تتقلب بين شوامخ الدور وروائع القصور . انها كلها لا تزال تغفل عن هذه الشركة الدائمة في تاريخ الانسانية : الشركة التي لم تنفصم منذ كان آدم على ظهر البسيطة ، الشركة بين القوة والحياة .

. . اما السواد من ابناء العربية فقد تجد لهم العذر في هذه الغفلة . ولكن ماذا تقول عن هذه الطبقة الواعية حين ننفض كل ما عندها ، فنجد انها لم تقدم لهذا الشعب الا طعاماً رخيصاً مائعاً يملأ المعدة ولكنه لا يغذيها ، ويثقلها ولكنه لا يغنيها .

عاش العرب في نهضتهم الاخيرة على ان الحياة عقيدة وقوة ، وعلى ان الجهاد ، والتأهب له ، والاستعداد في سبيله « فريضة » . . اعني انها الواجب الذي لا يكون المواطن العربي انساناً عربياً الا بها . . غير ان الحياة العربية كانت اكرم من ان تدير هذا الجهاد غدراً ونذالة ، واستعداء وجهالة ، ولكنها ادارته مع هذه النقلة البارعة التي كانت أروع ما عرفت الانسانية حين جعلته جهاداً في سبيل فكرة عليا ، ومثل سام ، وارتفعت به عن ان يكون في سبيل الاغراض الدنيا ليكون في سبيل تحقيق المدينة الفاضلة في العالم كله .

. . ما لم تنبش فكرة الجهاد في الحياة العربية من جديد ، ما لم ترفع عنها انقاض القرون التي رزحت فوقها ، ما لم تطهر من ذلة الاستعباد واقطاعية الزعماء ، ما لم تتبلور هذه الفكرة من جديد في ذهن الشباب العربي وقلبه على انها ضريبة الحياة التي لا تستقيم الحياة الا بها — ما لم يجدد كل فتى وفتاة ، كل امرأة ورجل ، ايمانه بالحياة على هذه الشركة بين الحياة والقوة إيماناً لا يشرك به ولا يصانع معه ولا يداري فيه — ما لم يكن ذلك كله كان مستقبل العرب الذي ننشده بعيداً ، وأوشك ان اكتب : مظلماً . . لا من اجل فلسطين فحسب ، بل لان العالم سيكتوي في خلال السنوات المقبلة بحرب ضروس ، وسيبتلي بشر ما عرف العالم من تدمير . والويل حينئذ للضعفاء !! .

يجب ان نعيش منذ اليوم في ظلال الحرب والحراب . . ويجب ان تكون الامة العربية كلها هذا الجيش الواحد . . ودعوا عنا حديث هذه الحكومات المتخاذلة الضعيفة . . وفتشوا عن هذه العبقرية المنظمة القادرة التي تستطيع ان تكون هذا الجيش فيتوزعنا جميعاً . ان الشرق العربي بهذه الموجات العنيفة التي ينبض بها قلبه يفتش عن هذه العبقرية المنظمة القادرة . . انه يفتش عن نبي جديد ، ولن يكون هذا النبي الا صورة لما اراد النبي العربي من قبله : اعني الحياة والقوة . . وسنعمل كما عمل في جو من الجدب والقحط الداخلي ، والوباء والغزو الخارجي .

اول مفاهيم الحياة العربية الجديدة . . اول مفهوم للجيل العربي الجديد يجب ان يكون هذا الجهاد . ان يحس كل انسان انه يترقب دوره في معركة عنيفة طويلة ، وأنه لا يجاهد من اجل نفسه ووطنه ، بل من اجل الانسانية كلها فيما يحمل لها من قوى الخير والصلاح والهداية . . هذه النزعة وحدها يجب ان تسود حيث لا تشاركها نزعة اخرى .

علمونا كيف نجاهد حتى نتعلم كيف نعيش .

القاهرة — شكري فيصل

تأليف د. برودي

البحث عن فلسفة

ترجمة رمضان لاوند

استاذ الفلسفة في كلية المقاصد بصيدا

☆

يجتاز كل امرىء* في حياته الفكرية المتطورة فترة يجد فيها نفسه غير مطمئنة الى اي طراز من طرز الفكر او نظام من نظم المباحث الخاصة ، ثم يستشعر بالتالي نزوعاً قوياً الى تعريف نفسه نتيجة تأملاته او تجاربه ، حيث يسألها بعد كل محاولة عن مفهومها في الحياة والعالم ، محاولاً اعطاء جواب حاسم على مسائل ما وراء الطبيعة الخالدة .

ولا ريب في ان عصرنا هذا ليس مستثنى من هذه القاعدة العامة رغم انه ينتسب الى جيل من الناس ، ظهرت عنده المطامح الكبرى والآمال العظمى في تكوين مركب فلسفي عام ، بمظهر المحتضر او المشرف على الاحتضار . وقد شعرنا بهذا النزوع الضروري شعوراً قوياً وعنيفاً . وكان منه تلك التجربة التي نقوم بها الآن .

وتجربتنا هذه لا ترعم العمق والاصالة ، بل الاخلاص فقط وشيئاً من الالتحام والتماسك .

كيف تتمثل لاولئك الذين يروضون انفسهم مثلنا على الاستنارة بغير مبدأ العقل ، مسائل المعرفة والوجود والحركة والمصير ؟

لقد حاولنا ان نحدد ذلك لانفسنا . وجربنا ان نذكر الاجابات دون التأكيد على صحتها والبرهنة عليها والانتشار على مسائلها انتشاراً واسعاً لقصر الوقت من ناحية وعدم توفر القوة والعزم من ناحية اخرى .

فالذي نضعه في عجالتنا هذه ، تعداد لاثبث معتقداتنا او اقربها من الامكان وافتراضات ظننا فيها القوة على الحياة والنمو رغم مرور السنوات وخضوعها لمختلف الحوادث والتجارب ، اكثر منها براهين مؤكدة ثابتة .

وهي في الواقع اعتراف فكري نجرؤ على تقديمه بتردد كبير مع ما نرى فيه من نقص وقلق اسلوبي وجزئي .

ازمة الفلسفة المعاصرة

انه على الرغم من الابعاد التي تفصلنا عن القرون الحالية ، يظهر لنا ان هناك فلسفة للقرن الثاني عشر ذات روح عامة منسجمة الخطوط والمنازع ، ومثل ذلك للقرن الثامن عشر . اما القرن التاسع عشر نفسه فقد تخللته عدة تيارات واضحة وصبغته بصبغة خاصة على الرغم من انه مبعث لكل ما نحس به الآن متألمين من ازمة في الفكر والاعتقاد .

وقد ظهر لنا من وراء الاعوام الثلاثين الماضية ان التحلل الفكري والاخلاقي تامان . وان الحرب الكبرى الاولى لم تترك وراءها غير الفوضى في الافكار والعواطف ومثل ذلك في الاحداث رغم اثرها البين في توحيد الجهود الوطنية ابان اندلاعها .

على اننا اليوم في اوروبا والعالم ، يمكننا ان نقول مع الشاعر ، وبمعنى اكثر دقة وقوة والى حد بعيد :

ما نقول ، وما نفكر ؟ انفكر او نشك ام نؤمن ؟

وفي الوقت نفسه اصبحت روح القلق من القوة والتضخم بحيث لم يسعها الا ان تعي بنفسها وعياً تاماً وان تعمل جاهدة على التخلص من هذه النفس . اما الشعور بضرورة الاستناد الى نظام ثابت فيؤكد نفسه شيئاً فشيئاً في حقل التفكير الخالص كما في حقول الافكار السياسية والاجتماعية دون ان يدري طبيعة هذا النظام ومكانه من عالمه . فعصرنا اذن في حاجة الى فلسفة وهو جاد في مبحث عنها .

* وسنواصل ترجمة عدة فصول من هذا الكتاب القيم في اعداد قادمة . (المترجم)

والحقيقة ان تياراً عاماً كان يجتاز حقبة السنوات الاولى من هذا القرن يجر العقول والافكار . والتيار هذا تيار لاعقلي او بعبارة اخرى صوفية جديدة وجدت في (برجسون) محورهـا الاساسي ومبعث اصالتها ومقومات وجودها . كما وجدت في الفلسفة البرجماتية خير ممثل لها في العالم (الانجلو – سكسوني) .

والفلسفة هذه لم تفلس بعد فهي ما تزال حية قوية الهوز لم تستنفد كل امكانياتها . وقد ظهرت آثارها في احدث المؤلفات كما ان نشر آخر مؤلفات برجسون قد احيى منها مواتها ووهبهـا قوة فوق قوتها . ثم لم يقتصر اثرها على العالم الفرنسي مذ جاوزت الحدود الى احزاب اجنبية ومنها ذات الصبغة السياسية ، اعتنقتها ودافعت عنها بحرارة .

كما ظهر منذ خمس عشرة سنة ان تياراً مضاداً ترتسم خطوطه ويحاول ان يؤكد وجوده بقوة مطردة النمو . ومن الممكن القول اليوم ان البرجماتية ان لم تكن البرجسونية قد انتهى أجلها وحان حينها واستنفدت كل امكانياتها . كما نستطيع ان نؤكد بأن المعركة الفكرية قد انتقلت مرة اخرى الى حيز العقل الذي يظهر في داخله ، وللفلاسفة على الاقل ، بان الصوفية الجديدة في حـالة انهيار بيّن . وان الاهتمام ينحصر مرة اخرى في مسائل المعرفة . اما أقوى الفلاسفة تمثيلاً لهذا الاتجاه الجديد فهم : كروتي وجانتايل في ايطاليا وبرنشتيك ولالاند واميل ميرسون في فرنسا يضاف الى هؤلاء الثلاثة كتـاب اضعف تمثيلاً لمعنى الفلسفة الفني مثل آلان والشاعر بول فاليري .

والحقيقة ان هؤلاء وان كانوا عقليين فقد كانت نتائجهم في حقل ما وراء الطبيعة سلبية بكـل معنى الكلمة . واذا كانوا يؤكدون حرية الفكر وقيمته فقد نفضوا ايديهم من كل محاولة تنتهي بتركيب فلسفي للواقع والاستمساك به . مما يضطرنا الى التساؤل عما اذا كانوا يحملون فلسفة اوشكت على الانهيار والاخفاق ناعياً موت الفلسفة العامة .

والفلسفة (الفانومانولوجية) في المانيا ليست اقل تمثيلاً لهذه الخصائص رغم معادلاتها واساليبها المختلفة في الظاهر .

ووراء هؤلاء واولئك من الفلاسفة يظهر جيل جديد اكثر جرأة على حقل ما وراء الطبيعة كهيدجر وجاسبرز في المانيا وسين ولافل وجبريال وسال في فرنسا قد نكتشف فيه ردة نحو الواقع معتمدين على عنوان له مغزاه لكتاب (واهل) او نزوعاً نحو (اونتولوجية) خاضعة للتجربة والحياة بمقدار خضوعها للفكر .

سنحاول ان نتلمس اولاً هذا القلق وتلك الخلافات الداخلية في الفكر المعاصر لا من وجهة نظر المؤرخ بل عن وجهة نظر رجل شريف يحاول توجيه نفسه خلال خضم الافكار الحديثة واستخراج النتائج التي لا تعبر عن نفسها بوضوح كما يحاول ان يرى جيـداً في داخل نفسه .

***

مما لا مشاحة فيه ان النظرية الوضعية من وجهة نظر فلسفية وما كان يتصل بها من مفهوم علمي خاص لم يعد لهما نفس الاثر في حقل التفكير الحديث . وذلك لان احداً من الناس لا يمكنه ان يزعم امكانية حل بعض المعضلات الكبرى بمحوها من جدول المباحث الفكرية وان المعضلات هذه لا تعترضنا فقط في مبحث ما وراء الطبيعة بل في داخل العلم نفسه . وقد اشار اميل ميرسون الى هذه الظاهرة فذهب بفضل وضعها بين ايدى المفكرين مؤكداً ان العلم لا يكتفي بالملاحظة والتحسس وادراك العلاقات والروابط بين مختلف الظاهرات بل يحاول جدياً ان يفهم ويفسر .

فكيف يسعنا ان نضع القوانين العلمية المختلفة ونؤكد صفتها الجبرية ان لم نحاول ادراك علاقاتها بطبيعة الاشياء ؟ .

ان العلم المعاصر في كل ظروفه المحيطة ومحاولاته ناجحة كانت او مخفقة او في حالة ادراكه للذرات في علم الكيمياء ووصفها وتعدادها او البرهنة على وجود صلات قوية بين الظاهرات الكهربائية والنورية او اهتمامه بصورة عامة لكل الظاهرات الاهتزازية وجهوده التي يبذلها في تحديد طبيعة الجاذبية بواسطة خصـائص انحناء انشتاين الفراغي وادراكه لنظام الوجود الطبيعي العـام باعتباره نهائياً وغير محدد واجتهاده في التوفيق بين النسبية الطبيعية ونسبة (الكوانتا quanta) ، يظهر جاهداً في تحديد صورة العالم . فهو بالتالي في كل مسألة ومن كل الجهات متجاوز للحدود والاطارات التي رسمهـا له اوجست كونت ظناً منه انه مستطيع حصره في امتداد جوانبها .

والتحليل الفلسفي من جهة ، على الرغم من نهجه سبلاً مختلفة الغايات تبعاً للقائمين عليه، ينتهي حتماً الى تهديم المفهوم الساذج لمهمة الفكر في تهيئة العلم . والعالم كما لا يخفى لا يكتفي مطلقاً بملاحظة الظاهرات المعطاة ، ملاحظة سلبية باعتبارها معطيات تامة . بل يحلق الى حد ما الموضوعات التي يلاحظها صادراً في خلقه هذا عن النظريات التي يحاول تحديدها او التحقيق فيها .

ففي هذا الواقع المعقد الذي يفعـل فيه الكل في الكل

والذي لا تتكرر فيه اية ظاهرة من ظاهراته تبعاً لحاجاتنا العملية ومنافعنا المبسطة ذات الغايات الواضحة أو اصطلاحاتنا الفكرية ، نحاول ان نقتطع حوادث محددة او اصنافاً منها متميزة، نتخيلها ثابتة الصفات مستقرة الجوانب ثم نمزجها من جديد وندخلها في اساليب ومذاهب مطردة التعقيد ، ومن ثم نخضعها طوعاً او كرهاً لعدد قليل من المبادىء والقواعد المطاطة . وبذلك نلقي في خضم الحوادث المتنوعة والكثرة اللامتناهية طرازاً نسلكه من وراء تعريفاتنا التجريدية ونظرياتنا وقوانيننا .

اما خصائص هذه المحاولة فتظهر واضحة كلما أسبغنا على تعريفاتنا ونظرياتنا وقوانيننا هذه ، الشكل الرياضي .

مما سبق يتبين لنا ان العلم هو علمنا نحن لانه انتاجنا الخاص ابتكرناه واخترعناه بصورة تحكمية او اصطلاحية الى حد بعيد .

ولكن هل يمنعنا هذا من القول بان العلم تجريبي في الاساس لارتكازه على الملاحظة الموضوعية ، وخضوعه دائماً لمقتضيات التحقيق والبحث .

الاجابة هنا جد عسيرة . ذلك لان التحقيق هذا غير كامل بل تقريبي على ما اكد اميل بوترو منذ زمن بعيد . رغم انه ما يزال الوسيلة الوحيدة التي يتوسل بها الباحثون بكل الطرق الصناعية . فالعالم لا يتردد في تعقيد القانون، والنظرية أو المبدأ الذي يزعم انه يمكنه من تقديم تقرير تحديدي لصنف من الظاهرات مستعينا بجملة من الفروض او النظريات الثانوية بحيث يستطيع ادخال هذه الظاهرات في حدود معطيات الملاحظة مهما كلفه الامر .

فالقانون الذي يستوحيه العالم بفضل استقرائه لا يلبث ان يتحول عنده الى مبدأ او تعريف لصنف خاص من الحوادث . فاذا اظهرت له التجربة من بعد، فساد هذا القانون . اكتفى بأن يقرر وجود صنف آخر من الحوادث دون ان يعدل مفهومه القانوني الاول .

وبما ان الحوادث الجديدة لا تتحقق الا بفضل آلات معقدة صنعت طبقاً للمفاهيم العلمية المكتسبة وجعلت لتحقيق النتائج التي ينتهي العالم اليها، فان مما لا شك فيه انها لا تثار فقط او تكتشف بل تصنع صنعاً فلا يمكن على هذا احداثها الا في المختبرات والمعامل في ظروف صناعية خاصة يهيئها العالم . وبذلك تكون قيمتها ذات علاقة وثيقة بمذاهب فكرية نظرية وفروض تتطلب منها تأكيد او نفي بعض من التفاصيل .

فاذا تعقدت النظريات بحيث تعجز التجارب الدقيقة عن تحديد الظواهر الملموسة الا بنوع من فروض معقدة متداخلة الخطوط بعيدة عن الواقع احدثت ثورات وانحرافات في مجرى العلوم وبذلك تستبدل بالمبادىء المعقدة القديمة اخرى جديدة مبسطة تكون اكثر ملاءمة لطبيعة التجارب الجديدة والكشوفات العلمية المستحدثة .

هكذا ينتقل العلم من فلك بطليموس الى فلك كوبرنيك ومن الفيزياء الوضعية الى الميكانيكية الديكارتية ثم من الميكانيكية الى نظرية القوة ومن نظام العالم النيوتوني الى نظام اينشتاين ثم من الميكانيكية المتتابعة الدائمة الى ميكانيكية الكرانتا . وفي ذلك برهان واضح على ان الاصطلاح والانتخاب هما دائماً وأبداً قاعدة لانطلاق افكارنا الموجهة في مادة العلم .

ولا يغربن عن بالنا ان احدث فروضنا في طبيعة تكوين المادة محل لتباين كبير بين نظرياتنا والحوادث التي تحققها تحقيقاً تقريبياً فقط بحيث تقبل وقتياً او تكون محلا لتعديل متدرج .

ان القياس المضبوط لظواهر الطبيعة الاولى غير ممكن حتماً اذا ذكرنا ان ادق المقاييس لاصغر الحوادث لا بد وان يؤثر في تعديل حوادثه التي يقيسها . فمن المستحيل اذاً تحديد طول ما، او برهة من الزمن دون تغيير حالة الجسم الذي يتعلق به هذا الطول او تلك البرهة .

ومن هنا نستنتج ان تحقيق المقاييس لا يكون الا بالنسب العالمية الكبرى على ان يعتبر القياس وسطياً ووسيلة للتوازن بين تباينات شاذة او غير منتظرة تلك التي يمكن ملاحظتها تجريبياً بالنسب الصغرى والبرهنة على ان الحوادث التي تنقصها الجبرية العلمية البحت لا تسود في حقل العناصر الاخيرة للواقع .

مما سبق انبثق المفهوم العلمي عند دوهام وادوار لروا ومن تبعهما من التلاميذ والمؤيدين، وقد قرر هؤلاء ان النظريات الفيزيائية والعلوم الطبيعية الاخرى عاجزة عن تعريفنا الحقيقة وعرض صورة صادقة عنها بل تمثلها في بعض من آثارها متابعة فقط الخطوط الكبرى طبقاً لمصالح النشاط الانساني بحيث تستبدل بانحناءاتها ومراحلها المتتابعة رموز كمية تسمح لنا بالتنبؤ بصورة اجمالية او وسطية او بمعادلات حسابية .

وقد يكفينا مثل ذلك لنؤسس صناعاتنا واعمالنا الفنية ولكن معادلاتنا هذه لا تجد ما يقابلها في الخارج من عناصر متميزة في الطبيعة .

— البقية في الصفحة ٥٩ —

التوازن العصبي النفسي

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي
مدرس علم النفس التجريبي بجامعة فؤاد الاول

☆

كنا نعتقد بأن الامراض النفسية مستقلة استقلالاً عن الاضطرابات الجسمية ، وتكلم بعض الباحثين عن الامراض النفسية كظواهر مستقلة منفصلة العوامل الجسمية . ولكن ملاحظة الصلة بين ظهور الفكرة الثابتة وبين حالات التعب والاضطرابات العصبية حملتنا حملاً على الاعتقاد بوجود اساس عصبي للفكرة الثابتة .

واذكر حالة السيدة التي فقدت ابنة لها فجأة واصيبت بفكرة ثابتة تتلخص في السؤال عن طرق تنظيف البلاط ، وكانت هذه السيدة تدرك شذوذها وتشعر بحياء شديد واضطراب كبير ، جعلاها تحاول الامتناع عن السؤال ، وادركت ان فعلها هذا كان فعلاً شاذاً ، واعتقدت انها مهددة بالجنون ، وزادها الاطباء ايماناً بفكرتها هذه ، وحاولوا تخليصها بالطرق الكهربية والكيماوية ، وحاول بعضهم الآخر طريق التحليل النفسي وانتهوا الى ان هذه الفكرة الثابتة تشير الى الصدمة النفسية التي اصيبت بها عندما فقدت ابنتها فجأة ، ولكن هذا الربط لم يفد شيئاً ولم يؤثر في الفكرة الثابتة التي ظلت محتفظة بقوتها وسيطرتها .

ولاحظت ان اشتداد الفكرة الثابتة كان مصحوباً بتصبب العرق الشديد ، والدموع الغزيرة ، والشعور بالحزن والهبوط في النشاط الجسمي . ولاحظت دائماً ان الحالة النفسية والجسمية كانت تتغير تماماً عندما ارغمت هذه السيدة على التزام الراحة في البيت ، وعدم التعرض الى اي نوع من انواع التعب .

واستعنت بآثار الايقاع لتحقيق الراحة العصبية وارجاع التوازن العصبي النفسي . وكانت هذه السيدة المصابة بالفكرة الثابتة تشعر اثناء كل جلسة براحة جسمية مصحوبة بنوع من الذهول . وبعدما كانت تلح على ايجاد حل مستعجل لمسألة وهمية فاجأتني بحل اقترحته هي ، وبينما كانت تسأل عن معنى كلمات في كتاب منزلي قالت : انك لا تعرف العلاج النفسي الحقيقي ، فقد كنت انتظر منك رداً حاسماً على سؤالي لتشرح لي ما استعصى علي في الكتاب المنزلي ، ولكنك لم توفق الى اجابة في الوقت الذي كان يمكنك فيه ان تقول لي : « هل انت فهمت كل القرآن وعرفت كنوزه لتشغلي بالك بما كتبته سيدة معرضة للخطأ » . وكان هذا الكلام بعد فترة استجمام وراحة ، أرجعا لديها التوازن العصبي النفسي .

ويضمن كل توازن عصبي محقق بأية طريقة كانت توازناً نفسياً ، واسهل طريق لاحداث التوازن العصبي هو الايقاع الذي يؤثر على الجهاز العصبي ككل . وكما ان الايقاع يحدث التوازن في بعض الاحيان ، فانه قادر على احداث الاضطراب ان كانت سرعة الايقاع غير ملائمة للايقاع الشخصي . ويمكننا ان نرى الاشخاص الذين عرضوا انفسهم الى التأثر بايقاع غير ملائم لهم ،

فانهم على الفور يشعرون بدوار واضطراب ولذلك يجب معرفة نوع الايقاع الملائم للشخص حتى يتم التوازن .

لا شك في ان الايقاع يُرجع التوازن العصبي النفسي مهما كانت اسباب الاضطراب على شرط ان تكون سرعة الايقاع ملائمة او قريبة من سرعة الايقاع الشخصي . ويمكننا ان نجعل اي شخص قادراً على تجنب الاضطراب الانفعالي بتقوية قدرته على تحقيق التوازن النفسي ، ويكون ذلك بجعل الشخص قادراً على التكيف بدرجات السرعة لانواع مختلفة من الايقاع . وكل المحاولات التي استخدمت الى يومنا هذا لارجاع التوازن العصبي النفسي مثل طريقة الصدمات الكهربية لم تعط نتائج حاسمة ، وقد تفيد الصدمات الكهربية في ارجاع التوازن الانفعالى مرة وجيزة من الزمن ، ولكنها لا تستطيع التأثير في التوازن السلوكي العام لانها لا تؤثر في التوازن العصبي النفسي ، وبقيت بعد الصدمات الكهربية آثار جسمية مختلفة ، وافكار مضطربة ، وظهرت على الشخص اضطرابات خارجية في صورة هذيان او اندفاع حركي ، وان لبثت حالات الحزن والكآبة التي كانت تستولي على الشخص تنقطع نوعاً ما .

وقد عرض العلامة أكارد في كتابه L'encéphalité Lethargique الى الاضطرابات النفسية التي تلحق بالسلوك من جراء اصابات مخية ولا شك في ان هذه الاضطرابات لا تزول وان التوازن لا يعود الا اذا سلمت المناطق المخية مما اصابها من عطب . ولوحظ ان المصابين بقروح مخية تظهر عليهم اعراض امراض مختلفة وان كان الاضطراب أهم ما يصاحب تلك الامراض كلها .

ان الهبوط الفجائي للنشاط النفسي في حالة النوم علامة مهمة تشير الى وجود أصابة مخية ناشئة عن تأثير جراثيم .

وكتب الدكتور عشار الجزائري في رسالة له الى العلامة أكارد مؤلف الكتاب الآنف الذكر انه لاحظ شاباً كان ينام مباشرة بعد عزف الكمان ، وكان النوم يفاجئه وآلات العزف في يديه (1) .

وفي مثل هذه الاصابات يشعر المصاب بميل الى الهذيان والى الاضطراب فيصل الحال بالشخص الى الكسر والاتلاف ، وقد يقوم بافعال خطيرة يؤذي بها نفسه وغيره .

اننا لا نستطيع ان نعيد التوازن في هذه الحالة بسهولة ، فلا بد من مقاومة الاضطراب واخضاع الشخص للانتباه حتى مسايرة الايقاع . وحاولنا ارجاع التوازن العصبي لدى سيدة كانت تنتابها أزمات الاضطراب فاستعملت النورا المتقطعة المسايرة للتقطع بايقاع صوتي في غرفة مظلمة ، وقد اخفقت في تحقيق التوازن العصبي النفسي رغم كل الجهود التي بذلتها لاخضاع هذه السيدة للتأثر بالايقاع وكان للتعب دخل كبير في زيادة التهيج العصبي والاضطراب النفسي . وكانت الراحة الجسمية تساعد على ارجاع التوازن والهدوء وابعاد الافكار الثابتة . ووجدت للمجتمع أثراً كبيراً في احداث التهيج والاضطراب لان المريضة كانت تبذل مجهوداً نفسياً في صورة انتباه واهتمام وكان ذلك كله يرهق الاعصاب ويؤدي الى الاضطراب .

لذلك حاولت عزل المريضة عن اشخاص معينين وجعلها تعيش في مجتمع ملائم لميولها حتى لا تتعرض للاضطرابات المزعجة ، ولكن المراقبة كانت صعبة التنفيذ وكان الاضطراب العصبي يعاود السيدة المريضة في أغلب الاحيان .

ويستحسن عندما توجد حالة من هذا النوع ان نعيش تحت اشراف عالم نفسي مدة من الزمن يضمن لنا فيها الخضوع للطرق المؤدية الى عدم التعرض الى ما يثير الاضطراب العصبي . وبعدما يتحقق نوع من الهدوء ويخف الاضطراب يلجأ المشرف الى التأثير بأنواع الايقاع الادراكية والحركية .

فاذا نجحنا بجعل المريض يخضع لاي نوع من انواع الايقاع في صورة حركة يساير بها الايقاع فانا نكون قد ضمنا ايضاً التأثير على اعصابه ، ويمكننا بعد ذلك بواسطة تغيير زمن الايقاع بالزيادة او النقصان تحقيق المرونة العصبية .

ويعتبر الاضطراب العصبي توتراً انفعالياً ، وهو دائماً خاضع لايقاع شخص معين ، يمكن تغييره ، وتحقيق التوازن في الحالات الطبيعية بدرجة معينة من الايقاع . والتوتر العصبي الانفعالي عامل مهم يؤثر في الشخصية كلها ، ولا يمكن الوصول الى تغييره ، الا اذا طبقنا قوانين علم النفس التي تعد الان كلاً متكاملاً .

ان كثيراً من الاضطرابات النفسية الناشئة عن الاضطراب العصبي ، لا يمكن التغلب عليها ، الا بتحقيق التوازن العصبي النفسي عن طريق الادراك بحواس مختلفة ، وبحركات جسمية تستخدم وظائف جسمية عامة . ويحقق الرقص هذه الغاية ، ولذلك لجأ اليه الانسان في مختلف الشعوب والاجيال في المناسبات التي تثير

(1) L'Encéphalité Letharique: par le Dr. Achard : P. 21. Paris. Bailliere 1921

انفعالات قوية مثل الفرح والحزن .

نلاحظ ان الاضطرابات الجنسية عند المراهقين تحدث في اغلب الاحيان توتراً عصبياً نفسياً معيناً يؤثر على الناحية النفسية والانفعالية . وليس من العبث اقبـال المراهقين في كل امة على مختلف انواع الرقص . غير ان الاتجاه في بعض الاحيان يكون خاطئاً والايقاع غير ملائم لحالة الشخص النفسية . ويمكن بدراسة تجريبية بسيطة معرفة الايقاع الشخصي الطبيعي عند كل فرد وما يوافقه من ايقاع خارجي ، ولذلك نرى الكثيرين يميلون الى رقصة دون اخرى ، ويعرفون بالتقريب ما يلائم مزاجهم ، فالبعض مثلا يفضل رقصة « التانجو » ويقال عنهم انهم عاطفيون ، ويميل البعض الآخر الى ايثار الرقصات السريعة مثل «السوينج» و« الرمبا »، ونرى اشخاصا يشمئزون بسماع ما يتنافر مع ايقاعهم الشخصي .

وهناك اشخاص لا يستقرون على حال في مزاجهم ويصابون باضطراب دوري يأتيهم من وقت الى آخر ، وذلك ما يسمى لدى الاوربيين بـ « Cyclothimie » وهذه الحالة ناشئة من تغير الايقاع الشخصي وعدم استقراره فيكون هـادئاً متزناً ثم يصير سريع الحركة سريع التفكير متقلب الانفعلات متردداً في افعاله، يبدأ ليقطع ثم يعود ويحاول من جديد دون ان ينهي .

فهذه الحالة من الاضطراب لا يقاومها غير اخضاع الشخص لايقاع خارجي معين ثابت مدة كافية من الزمن .

ويمكن ابعاد الاضطراب العصبي النفسي بتخليص الشخص من فكرة ندم تؤثر على افعاله وتجعله يثور من حين الى آخر من غير سبب خارجي ظاهر . ويعمل الندم في بعض الاحيان اعمالاً خطيرة عندما يحاول الشخص ان يقضي على كل مظاهر الندم في الخارج ، ويعاني آلامه في الداخل ، ويكون هذا الموقف خطيراً لانه يجعل الشخص ينعزل عن الناس ليتألم وحده .

في هذه الحـال يكون التعب والاضطراب العصبي النفسي ناشئين عن سبب نفسي بحت . ولا تسأل عن طريق الانتقال من الظاهرة النفسية الى الظاهرة الجسمية لان الترابط بين الميدانين قوي ، والتداخل تام . يشعر النادم بتحمل مسؤلية تقصيره فيحدث ذلك ازدواجاً في شخصيته وتفككاً في وحدة كيانه المتكامل . ويؤدي ذلك الازدواج والتفكك الى تطـاحن فكري يحكم فيه الشخص على نفسه بالتقصير والضعف .

وتستمر المعركة مدة من الزمن فتضعف الجسم وتفكـك ترابطه ، فيتلاشى الضبط والمراقبة . ويكون ذلك سبباً لظهور الحركات الطائشة التي لا تلبث ان تنقلب حركات عدائية يوجهها الشخص ضد نفسه فيوذي جسمه ويشعر بالالم . وهذه المرحلة من التجزؤ اخطر مرحلة على الصحة العقلية ، وكثيراً ما يصل الامر بالشخص الى الانتحار ليخلص نفسه من آلام التضارب والتفكك .

ولا شك في ان هذه الاضطرابات خطيرة ويجب ايجـاد وسيلة لابعادها . وقد حاولت الاديان ان تساعد الفرد على التخلص من هذا الارتباك وحلت المشكلة بفكرة القضاء والقدر ، وفتحت هذا الباب الفلسفي حتى يجد الشخص النادم ملجأ ينسب به اعماله الى الله فيقول : « اراد الله ان اسلك كما سلكت » . وقد ينسب اعماله الى الشيطان ويقول : هو الذي دفعني الى ارتكاب ذلك العمل ويستغفر الشخص ويسأل الرحمة والمعونة من الله ويستعيذ مـن الشيطان الرجيم .

وتحمل فكرة الخطيئة الاولى لدى بعض الاديان حلًا نفسياً لكثير من المشاكل النفسية التي تؤدي الى الاضطراب والتطاحن والاضطراب بين الافكار . وانا لنجد حلولاً مختلفة عند كل دين من الاديان، وفكرة التحقير لهذه الدنيا وما فيها من لذات بالنسبة لما في العالم الآخر من نعم باقية تساعد في حالات الشعور بالندم على احداث التوازن العصبي النفسي . ونجد النهي الصريح عن عدم الحزن على ما فاتنا ، كمـا نهى الدين عن اليأس والقنوط ، وحض على الامل والرجاء الكبير الدافعين للعمل .

كذلك يحاول التحليل النفسي ان يكشف عن اسبـاب الاضطراب ويدفع الشخص الى الاعتراف الذي استعملته الكنيسة لاراحة النفوس وتطهير الضمائر . ولكن التحليل النفسي وحده لم يكف ، فلا بد من مساعدة الشخص على استرجاع تكامله بتقوية الترابط الجسمي وابعاد كل أثر للانفعال مثل الاضطرابات الحشوية وغير ذلك من الآثار الاجتماعية .

فكثيراً ما يكون الوسط الذي ارتكب فيه الشخص ذنباً مثيراً للتهيجات العصبية النفسية . فعلى المحلل النفسي ان يراعي هذه العوامل ويحاول تعويد الشخص على تحملها او ابعاده مؤقتاً عن آثارها – ان كان لا بد من ذلك – لارجاع التوازن العصبي النفسي .

القاهرة

ابو مدين الشافعي

فن التصوير عند اليونان

بقلم الآنسة سلوى روضة

☆

موضوع درسنا * هذه الليلة هو العصر اليوناني .

والذي يهمنا نحن في هذا الدرس هو تاريخ التصوير الزيتي ولكنه يصعب ان ندرس التصوير دون ان نربطه بباقي الفنون كما انه يصعب ان ندرس هذه الفنون منفصلة عن الارض والشعوب التي اطلعتها .

ولذلك فسأبدأ حديثي بكلمة موجزة عن طبيعة الارض اليونانية واثرها في حياة الشعب اليوناني ثم ألمح الى الحقب التاريخية التي أثرت في حياة هذا الشعب كذلك – وانتقل من هذا الى مظاهر الفن اليوناني عامة الى ان أصل الى التصوير عند اليونان الذي هو موضوع درسنا هذه الليلة . فنقف عنده بشيء من التطويل محاولين ان ندرس خصائصه الهامة والمدى الذي توصل اليه

الطبيعة اليونانية

ان الطبيعة اليونانية ذات الجبال والاودية القائمة على اشكال هندسية، وذات الشواطىء الكثيرة والرؤوس والتعاريج المتداخلة في بحار ينعكس عليها جو غني بالانوار فتبدو امواجها كأنها خيوط من الاشعة تتدحرج في تلك الخلجان ، ان تلك الطبيعة التي تمتزج بالخطوط فتؤلف نسباً واضحة تنطبع على العقل بقوه ودقة .

ان هذه الطبيعة فريدة النوع في العالم فجميع المظاهر الكونية تتجلى في تلك الارض التي يخترقها البحر في كل مكان . المحاطة بالافاق البحرية والجزر الجبلية ، والمضايق الذهبية التي تشع حتى في منتصف الليل . انها صخور تعكس من الصباح الى المساء كل تقلبات الجلد والشمس ، وغابات كثيفة على الجبال ، واحراج منتشرة في الاودية وتلال تحيطها وانهار لا يزيد طولها عن لفتة طرف . ووراء هذا التنوع مناخ معتدل وحياة بسيطة لم تتعقد بغنى فاحش على فقر مدقع .. فلم يك فيها عوامل عنيفة في الطبيعة ولا في الحياة الاجتماعية توحي بفكرة قوى خارقة للطبيعة او باية اتجاهات تصوفية . فنشأ عندهم لذلك دين طبيعي يقوم على عبادة هذه الطبيعة البسيطة الخلابة .

اليوناني احب الحياة بما فيها من حركة ومرح ومجون ، وبما هو فيها من جميع النوازع البشرية فعبد هذه الحياة وجسد كل نوازعها في آلهة بشرية، للخير إله وللشر آله ولكل عاطفة بشرية آله، وهذه الآلهة ليست مستبدة ولا هي خالقة للانسان وانما اناس آخرون اذا اتجهوا للفضيلة كانوا اكمل فضائلا من البشر واذا اتجهوا الى الشر كانوا اعنف في شرهم منهم . الالهة عند اليونان هي النوازع البشرية على جميع وجوهها مجسدة ومكبرة . ولكون هذه الآلهة طبيعية فانها لم تستلزم في عبادتها طرقاً تصوفية ولم تستلزم وسيطاً بينها وبين البشر فكان اليونان الوسط القديم الوحيد الذي لم تنفصل فيه الكهنة عن عامة الشعب لتكون وسيطاً بينها وبين الآلهة . ولهذا ظل العقل اليوناني متحرراً ، فساعده ذلك على الاستمرار في الاكتشاف والتقدم . فالشعب اليوناني نظر الى الحياة نظرة سليمة فشغلته عما بعدها ولذلك فقد عبد الحاضر الذي هو فيه فكان ذلك رمزاً لفنه .

ولانها بلاد ممطرة فقد اضطر اهلها الى الاهتمام بالبيوت كملجأ . وهذا دفعهم الى معرفة قوانين الطبيعة الهندسية ونواميسها وقد ساعدهم على اكتشاف هذه النواميس انها ظاهرة في بناء طبيعة بلادهم من جبال واودية وكهوف ، وبهذا فقد ركزوا حياتهم على قوانين الطبيعة ، ومن هنا نشأت الهندسة في اليونان ، فان هذا التنوع الطبيعي هو اكبر معلم للتجريد الهندسي Abstraction .

فنحن نجد اليوم في هياكل كورنث بعض بقايا هذه الهندسة المستمدة من الطبيعة ونجد كذلك ان الفن الدوري مستمد من

* ألقيت هذه المحاضرة في الدرس الثالث من سلسلة تاريخ التصوير الزيتي الذي تعطيه اللجنة الفنية في النادي الثقافي العربي ببيروت .

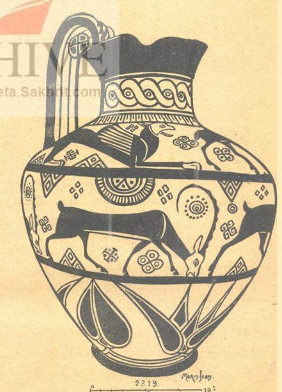
بيوتهم الخشبية الاولى .

ونجد كذلك ان الهياكل اليونانية ، حتى في اوج هندستها التجريدية ترجع باصولها الى العالم المادي ، فهي لم تكن الا تعبيراً عن قوانينه .

هذه لمحة خاطفة حاولت فيها ان ابين كيف ان الطبيعة اليونانية اثرت بجمالها وبساطتها وتنوعها في نشوء هذا الدين الطبيعي عند اليونان وكيف انها لذلك انطبعت على العقل اليوناني بشكل فعال ساعده على اكتشاف نواميسها والنسج على منوالها فكان فنه مستمداً من الطبيعة ومصوراً لها في جمالها وواقعها وحركتها .

لمحة تاريخية

وانتقل الآن الى التاريخ اليوناني . وليس من السهل ان نعطي باسطر قليلة مجمل تاريخ اليونان . فليس هو بالتاريخ الموحد وانما هو تاريخ عدد كبير من الدويلات المستقلة حتى ان ارسطو عندما اراد ان يؤرخ الانظمة السياسية اليونانية ، اضطر الى ذكر مئة وثمانية وخمسين نظاماً كانت كلها ممثلة في تلك الدويلات . على اننا



نستطيع ان نقول على الاجمال ان المقاطعات الساحلية في اليونان كانت منذ الالف الاول قبل المسيح على اتصال تجاري وحربي مع مصر وفارس والشرق الادنى واما المقاطعات الجبلية الشمالية فكانت اكثر انعزالاً عن العالم . ولذلك فنحن نجد في الفن الادوري الذي نشأ في مقاطعة جبلية روحاً ريفية تتفجر حياة وصلابة وخشونة بينما نجد الطابع الايوني المتأثر بالروح الشرقية اقرب الى النعومة التي نعرفها في الحواضر المتمدنة في الشرق الادنى آنذاك . وذلك لان الايونيين كانوا على اتصال وثيق بالشرق نتيجة حروبهم مع الفرس وتجارتهم مع الفنيقيين .

وهنا لا بد من تقسيم هذا التاريخ . الى ادوار بالنسبة الى تطورها الفني .

١ — في سنة ٥٦٠ للميلاد ثارت المدن الايونية على الفرس وانتصرت عليهم .

٢ — سنة ٤٨٠ يظهر النحات اليوناني ميرون .

٣ — سنة ٤٥٠ الميلاد ابتدأ العصر الذهبي في الفن اليوناني . وفيه يظهر فيدياس وبوليكليتس وفي هذا العصر تصل هندسة البناء الى الاوج وكذلك النحت والتصوير على الحيطان .

٤ — سنة ٤٠٠ الميلاد ابتدأ العصر الذهبي الثاني للفنون ، وفيه يظهر النحاتون الكبار براكستاليس وسكوباس وليزيبس .

٥ — سنة ٣٠٠ للميلاد بني الموزوليوم احد العجائب السبع .

لمحة عامة عن الفن اليوناني

وبعد هذه المقدمة نستطيع ان نلقي نظرة شاملة على الفن اليوناني فنبدأ بهندسة البناء . لانها كما ذكرنا سالفاً كانت اول فن نشأ عندهم نتيجة لحاجتهم الى الملاجىء .

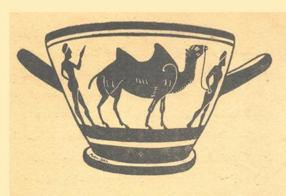
ينقسم فن البناء عند اليونان الى ثلاثة انواع : الدوري ، الايوني ، الكورنثي .

النوع الدوري

هو اقدم هذه الانواع حيث نلاحظ الخشونة والقوة ظاهرتين على الاعمدة التي تكون في القالب ضخمة وقصيرة . ومزايا هذا النوع هي : ليس للعامود قاعدة . العامود نفسه مضلع . رأس العامود بسيط وضخم ويمثل هذا النوع برثنون اثينا .

النوع الايوني

ان ملاحظة نوعه سهل بالغ السهولة من الاتساع اللولبي الذي يزين رأس العامود . فللعامود قاعدة مستديرة وصلبه مضلع لكنه طويل وممشوق . من اشهر بقايا هذا الفن باب الاركثيوم في اثينا .



النوع الكورنثي

قاعدة العامود لا تختلف عن الايوني الا ان القـاعدة المدورة مرتكزة على مربع صلب العامود المضلع،اما رأس العامود فيكون على شكل اوراق تعطي فكرة الزهرة المتفتحة .

فن النحت

اما النحت فقد نشأ على ملاعب الاولمب حيث تجلت الروح اليونانية الطلقة المرحة باجلى مظاهرهـا . فقد كان الرياضيون يأمون الاولمب من جميع الجزر اليونانية ومن ايطاليا وآسيا الصغرى لاجل الاحتفالات الرياضية ، وكان هؤلاء الابطال يتبارون وهم عراة فيراقب الفنانون المتفرجون تناسق هذه الاجساد وحركة العضلات القوية تحت البشرة النحاسية ، فنشأ من ذلك النحت اليوناني الواقعي الذي يصور بكل دقة هذا التنـاسب وهذه الحركة،غير مستهدف اية غاية روحية او عقلية الا نقل الطبيعة كما هي . ويظل هذا النحت يتطور من طور الى طور حتى يشمـل جميع الوان الحياة اليونانية في جميع حالاتها . ولقد ظل النحت منحصراً في الاولمب مئات السنوات قبل ان ينتقل الى المعابد .

واهم من اشتهر من النحات عند اليونان .

ميرون : في القرن الخامس الميلاد ووصلنا عنه تحفتـان :

الاولى — تمثال مارسياس اثينا ويمثل هذا التمثال مارسياس تتجاذبه عاطفتان متناقضتان — عاطفة تدفعه الى التقاط الناي الذي رمته اثينا ، وخوفه من غضب اثينا ان هو التقطه .

والتحفة الثانية—هي رامي الصحن . ولقد وصلتنا هذه التحفة مقطوعة الرأس .

ويجيء بعده فيدياس ولقد فقدت جميع اصول التحف التي خلفها هذا الفنان ولا نجد اليوم سوى فضلات نقوش عـلى معبد بارثانون اثينا ، التي هي من صنع فيدياس وغيره من الفنانين الذين كان يستخدمهم للعمل معه . واشهر التحف التي ينسبونها له هي رأس الحصان — القدر The Fates والكاهنة الصغيرة .

وبعد فيدياس بوليكليتس ، لقد وُجـد اسم بوليكليتس موقعاً به على كثير من قواعد الحفريات ، لهذا نسب اليه كثير من التماثيل . من اشهرها تمثال الامازون الذي يقولون انـه صنعه في مسابقة بينه وبين فيدياس وكيزيلاس .

وننتقل الى القرن الرابع فنقف عند فنانين مشهورين :

براكستليس : وأشهر ما نسب اليه تمثال « الهرمس » وهو يعطي الطفل « ديونيسس » الى حورية الغابات لتتعهد تربيته .

والفنان الثاني : سكوباس ، الذي كلف بتزيين «الموزولقس» واخيراً ليزيبس واشهر تحفه : هرقل يلاعب غزالاً ، هرمس يربط حذاءه ، وهرقل يرتاح .

فن التصوير

والآن نصل الى التصوير وهو موضوعنا الرئيسي لهذه الليلة .

والتصوير هو احدث الفنون اليونانية ، ولكنه مع ذلك لا يقل عنها اهمية .

ونحن لم يصلنا من التصوير اليوناني الا النزر اليسير ولذلك نجد الرأي السائد اليوم يتجه الى ان التصوير لم يكن شائعاً عند اليونان. على ان الامر ليس كذلك فلدينا أدلة نستطيع ان نستنتج منها الشيء الكثير — وهذه الادلة هي :

اولاً : الصور على الآنية التي وصلتنا .

ثانياً : الفرسكو الذي اكتشف في بومباي واماكن اخرى .

اما الصور على الآنية فهي موجودة بالالاف في متاحف اوربا وهي مع كونها ليست من صنع الفنانين وانما هي من صنع عمال حاذقين فانها دون شك نسخت نسخاً عن الفرسكو في المعابد وعن الحياكة المنقوشة . كما كان Xanto ينقل صور رفائيل ويتاجر بها .

ولو ان صور رفائيل فقدت لكان بوسعنا ان نعرف شيئاً منها عن طريق تصوير Xanto .

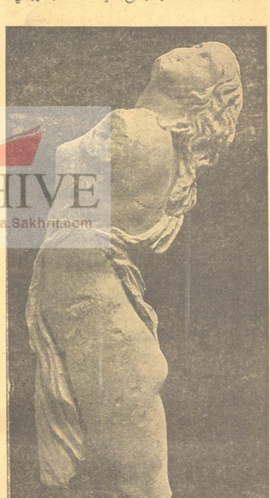
وعلى هذه الطريقة نستطيع ان نستدل على التصوير اليوناني بواسطة هذه الآنية المنقولة عنه تماماً .

والذي نستنتجه من هذه الآنية ، هو أنها وان تكن تعطي فكرة الـ Plasticety (اي مجموع الخط والطراز والمساحة واللون) اكثر من التزيين فانها لا تستطيع ان تؤدي فكرة النفور Perspective اما الفرسكو فمع انه من الناحية التكنيكية لا يرتفع عن مستوى التزيين البسيط فانه يعطي تناسقاً وغنى في التدرج وتشعباً ناعماً في

الالوان وفوق هذا كله فانه يعطي عمقاً وحرارة في التعبير وحيوية في اللون كاملة ودافئة ، وتحديداً دقيقاً للشكل بواسطة النور والظل مما يؤدي لنا صورة حية عن تلك التحف التي فقدت الى الابد . على أن هذه الصور يعوزها الفنى في اللون وهذا العمق الذي لا يعطيه الا الـ Perspective اي النفور والابعاد . فهي اقرب الى التصوير المسطح منها الى التصوير الفني الحر .

وتدل هذه الصور كذلك على ان الطابع البلاستيكي هو الذي طبع الانتاج اليوناني الفني .

والآن نتساءل ما هو الموضوع الذي اتخذه المصور اليوناني ؟



ولا شك في ان الميثولوجيا وقصص الآلهة والابطال كانت المعين الاهم كما كانت لجميع الفنون اليونانية . على ان اليونان فضلوا النحت لتمثيل الآلهة لانه يجسدها فانصرف التصوير الى الحقل العملي طائفاً بحوادث تاريخية ومواضيع من حياتهم اليومية . وهكذا بالاضافة الى صور طبقة الابطال ، فان القديم اهتم بالمواضيع الواقعية والكاريكاتور وصور الطبيعة الهادئة وعدة انواع من مستوى ادنى .

انواع التصوير عند اليونان

عرف اليونانيون اربعة انواع من التصوير ولكل نوع موضوعه الخاص .

النوع الاول : هو التصوير على لوحات خشبية بالوان نصف شفافة Tempera اي الوان ممزوجة بزلال البيض عوضاً عن الزيوت .

والنوع الثاني : التصوير على الجدران ولقد كانوا يستخدمون له ورقة طينية مالسة جيداً ثم يصورون عليها بالوان مائية عادية .

النوع الثالث : هو الـ Encostic وهو كناية عن الوان تمزج مع الشمع ثم تشوى لتصنع مسطحاً مجهزاً جيداً . وهذه الطريقة لم تكتشف الا عندما بلغ التصوير الاوج . واكتشاف هذه الطريقة كاكتشاف التصوير الزيتي الحديث كان سببه الشوق الى الكمال الواقعي ، والى تدرج انعم في الالوان والى مزج ادق في تشعبات اللون وخلق مجموع اكثر اشراقاً .

والنوع الرابع من التصوير : هو الموزاييك - ولقد اكتشف في عصور متأخرة وكان بواسطة حجارة ملونة ترصف جنباً الى جنب لتعطي سمة معينة « رسمة » ولكنه لا يُستعمل الا في الترخيم « والتبليط » .

التطور التاريخي

وهذا التصوير اليوناني مر في عدة مراحل .

١ - المرحلة الاولى جاء فيها كليتنس وهو اول من ادخل السيلويت الى التصوير .

٢ - تليفانس اول من اتقن فن التصوير بالخطوط .

٣ - افانتس اول من ادخل التصوير بلون واحد .

٤ - ايماروس من اثينا اول من فرق بين الرجل والمرأة بواسطة الالوان المختلفة . ففي اقدم الرسوم على الآنية نجد أدلة واضحة على ان الوان المرأة ضاحية والوان الرجل قاتمة .

٥ - بوليجنوتس دعي هذا الفنان سنة ٥٦٢ للميلاد ليزين قصراً لاحد الملوك فاشتغل وعدة زملاء له على تصوير بهو سمي Poikilos اي متعدد الالوان . ولقد صوروا في هذا البهو معارك الاثينيين

مع الاسيديمونيين . ومعارك التيتس مع الامازون وصوروا سقوط طروادة ومعركة مراثون .

وهذه التصاوير كانت كناية عن خطوط ملونة Sketch على جو معتم بدون ظلال وبدون كسم Modling ومصنوعة من اربعة الوان خالية من فكرة الابعاد .

وبالرغم من هذه البساطة في معالجة الموضوع فان الدقة في الرسم وغنى التعبير في الاشخاص وجلال الشكل كان لهما وقع رائع في النفس — حتى قيل عن صورته لبوليكسينا ان حرب طروادة قد حشرت كلها في نواظر هذه العذراء .

على ان التصوير في هذه المرحلة أقتصر به جميعه على رسم الحوادث التاريخية ووقف على ما هو روحي وباعث على التأمل .

المرحلة الثانية : وفيها دخل على فن التصوير عدة تطورات من حيث المعدات والتكنيك .

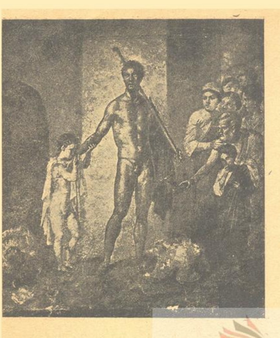
وقد حاولوا في هذا العهد ان يتلاعبوا بخلق تأثير وهمي يعطي فكرة الابعاد في الصورة . والذي احدث هذا التطور هو «اجاثاروس» الذي استخدم في تزيين التياترات . وكان اعظم شأناً منه «ابولودورس» الذي كان اول من ادخل فكرة التأليف الجميل واعطى فكرة التجسيم في الصورة بواسطة النور والظل . فسمي لذلك مصور الاظلال .

المرحلة الثالثة : اما المرحلة الثالثة في التصوير فتجيء بعد الـ Peloponnesian حيث انتقل التصوير من أثينا الى مدن آسيا الصغرى وخصوصاً في افسس .

وفضل هذه المدرسة الايونية يقوم في الاساس على غنى اشد وكمال ارفع في مزج الالوان والتجسيم وخداع الجانبي للابعاد . كما أدى اليه اتصال هذه المدرسة مباشرة بحضارات الشرق الادنى . وفي هذا العهد انتقل التصوير من الجدران الى الالواح .

وهناك نكات متعددة تروى عن الفنانين في ذلك العصر ، نستدل منها على اجتهادهم في نقل الطبيعة كما هي بكل دقة وبدون تحريف . من هذه النكات قصة التنازع بين ممثلي هذه المدرسة « بارهاسيوس » وكزكسيس . فان « كزاكسيس صور عناقيد من العنب جاءت طبيعية الى درجة انها خدعت العصافير فتقدمت لتأكل منها ، فجاء « بارهاسيوس » وصور فوقها ستاراً (برداية) انخدع به مزاحمه نفسه فتقدم ليرفعه بيده .

ولقد اشتهرت تصاوير كزاكسيس بقوة الجاذبية والانوثة الناعمة كما نجد في صورة « هيلانا » فقد قدم له سكان « كروتون » على الرغم من تقاليدهم أنبل فتياتهم ليكون لها قاعدة Model .



ويقال ان كزاكسيس هذا مات من شدة ما ضحك على صورة عجوز شمطاء صورها .

اما « بارهاسيوس » فلكي يزاحم معاصرة كزاكسيس اتقن طريقة لا تقل عن طريقة الاول فهو اول من طبق مبدأ التناسب النسبي الذي يجعل اديم الوجه اكثر نعومة ويكسب الشعر عياقته ويعيد الى الفم سحره . ومن اهم خصائصه كذلك دقة الشكل عنده وملاحظة النور والظل والانعكاس وملكة في تجسيد الانفعالات النفسية .

ونحن نعرف هذا عنه من تقارير القدماء عن صورة له تمثل التناقض في اخلاق اهل اثينا .

ومن المدرسة الايونية كذلك « ايومبيوس » وتلميذه « بامفيلس الذان ادخلا الدراسة العلميـة الى التصوير أي انهما جعلا للتصوير قواعد تعلم وتدرس .

وميلانثيوس الذي اشتهر بالتأليف .

ويصل الفن اليوناني الى الاوج عند « ابيلاس » الذي جمع خصائص المدرسة الايونية والمدرسة السيكونية «نسبة الى سيكون» « وابيلاس » بحق كان رفائيل العصور القديمة فقد اضفى على تحفه السحر البالغ والجمال الروحي للجمال الذي لا ينبثق الا من تمازج

الاشكال ، مع تشعب اللون ، وفهم عميق للنفس البشرية .

ومن اهم تصاوير أبيلاس هذا : صورة افروديت صاعدة من البحر وتنفض الماء عن شعرها بيديها ، التي رسمها لمعبد Cos . ولقد تضررت هذه الصورة بعد ذلك ولكن لم يجرأ فنان على الارض ان يحاول اصلاحها .

٢ — وله مجموعة صور للآلهة والابطال .

٣ — وله عدد لا يحصى من الصور للاسكندر الكبير الذي لم يسمح لغيره ان يصوره .

٥— وصور لمعبد أرتميس ، الاسكندر حاملاً البرق في يده — وجاءت هذه الصورة مؤثرة لدرجة ان الاسكندر قال عنها — يوجد اسكندران لا يقهران — اسكندر ابن فيليب وصورة ابيلاس التي لا تقلد .

ومن معاصري هذا الفنان .

بروتوجينس الذي وقف « ابيلاس » معجباً امام صوره . وأكتيون و « انتيفيلوس » الذي اشتهر في الكاريكاتور .

التصوير على الآنية

ونتقل الآن الى التصوير على الآنية عند اليونان ويهمنا هذا الحقل لسببين .

اولاً — لانها مصدر مهم لدراسة المستوى الفني عند اليونان .

وثانياً — لاهمية الرسوم التي عليها .

وبالرغم من ان هذه الرسوم هي نتيجة حذق حرفي كما ذكرنا فاننا لا نستطيع ان نهملها لعدم وجود غيرها .

١— اقدم هذه الآنية من الحجم المتوسط وهي متأثرة بالفن المصري والاشوري ومصنوعة على نسب تقريبية من طين اصفر او احمر فاتح ومدهونة بلون بني واسود ومعها الوان بيضاء وبنفسجية ويحيط بها خطوط افقية بشكل إطار وهي اما مملوءة بورود ، او زهر اللوتس المصري ، او غيرها من الازهار . وقد يكون عليها في كثير من الاحيان صور حيوانات غريبة الشكل التي تدل على اثر شرقي قديم .

٢ — يجيء بعد الدور الدوري القديم ، الدور الاتيك الذي يشابهه من ناحية اللون اما من ناحية حجم الآنية ودقة التناسب وتشديده على تصوير الالهة والابطال فانه يشكل مرحلة جديدة .

والاشخاص على هذه الانية تظهر في بعض الاحيان جامدة وبدون حياة وكثيراً ما تكون اشكالها مستهجنة ومحدودة بزوايا هندسية تحديداً واضحاً غير طبيعي .

٣ — اما الدور الثالث فهو الدور الاثري وهنا نجد ان شكل الاناء الخارجي متنوع والتصاوير عليه اقرب الى الحياة والجمال وفيها تبسيط للالوان القديمة وتدل على ذوق ارفع في استعمال هذه الالوان .

٤ — ومن هنا ننتقل الى الدور الهليني الخالص . في هذا العهد لم يعد التزيين واسطة لملء فراغ فحسب ولم تعد التصاوير تطرح على الاناء بهذه اللامبالاة بل اصبح لكل اناء تصميم سابق يعطي له معنى وهذه التصاميم توزع توزيعاً جذاباً على الفسحة التي ستملأها فتصبغ بالاسود البراق الذي يطمئن في جوار لون الفخار الناري .

ونجد في هذا الدور طريقة ثانية وهي ان يطلى الاناء بأسود وتظل الصور على لون الفخار الطبيعي .

وهذا العهد من التصوير يدل على انتقال من طريقة خشنة الى طريقة جمالية خالصة .

ونحن نستدل من الحركة المتحررة في هذه التصاوير على ذوق في التصميم ، ونستدل من الخطوط المنحنية بنعومة ، انها من انتاج عصر ذهبي في الفنون .

٥ — ويجيء بعد هذا الدور دور خاص متأخر وفيه يظهر التناسق اليوناني الفخم على القطعة بكاملها وزينتها تدل على غنى في التصوير مفرط وهو يظهر كذلك على الآنية الضخمة التي يبلغ علوها احياناً متراً ونصف المتر .

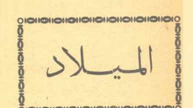
وظلوا في هذا العهد على طريقة دهن الآنية بالاسود وترك التصاوير بلون الفخار الطبيعي .

ومواضيعهم في هذا العهد هي مشاهد من حياة الابطال مع انهم في كثير من الاحيان يصورون مشاهد من الحياة اليومية المتنوعة .

والآن نلخص فنقول ان اليونان شعب نشأ في طبيعة متنوعة جميلة متناسقة فاحبها وعبدها فكانت فنونه تعبيراً حياً للحياة بما فيها من حركة وتناسب وانطلاق — فلا يهدف من وراء الفنون الى اداء فكرة ما او اداء جو ابعد من هذه الحياة — هو يمثل ذوق الطفل السليم الساذج بما فيه من براءة وطيبة واحساس .

ولقد توصل المصورون عند اليونان الى معرفة خلق الابعاد بواسطة الانوار والظلال وتشعب الالوان وتوصلوا كذلك الى معرفة في الالوان نفسها وتوصلوا الى مقدرة في التأليف واستعملوا اهون القواعد واتقنوها وابتعدوا عن الاصول المعقدة خوفاً منها . وفوق هذا كله فقد كانوا واقعين في تصاويرهم فاخذوا مواضيعهم من الحياة اليومية .

سلوى روضة



للآنسة ليلى ... «عطاظ»

☆

دمشق

لمحتك والفجر لمـّا يزل يسلسل انواره الزاهرة ...
... ويسكب من ذائبات الطيوب ، تحيات اشواقه الزاخرة
لمحتك ، يا عبقري الوجود ، على ربوة ، حلوة ســاحرة
يسربلك الحسنُ ... دنيا الشعاع ، تطوّف وهاجة باهرة .
ويعبق فوحٌ من المجدلية ... غض الرؤى .. السمحة ، السافرة ..
.. طيوب .. هي الكون .. في حلمه .. الرضي ، وآماله الطاهرة
... لمحتك لا كالسنين الخوالي .. ولا كليالي المنى العابرة ،
كأن على طرفك المخملي ، خيالاً لآهـاتك الحائرة ...

***

وكلمتني : والدموع السماح ، ترقرق في المدمـع الاكرم
هي النور .. قد ذاب حتى استحال اناشيد .. في همسة الانجم
هو الكون ! ! اين بقايا الصلاح ؟ تغرد في افقه المعـتم
واين الهدى خافق في الضلوع ، بأنغامه الزهر لم يظلم ..؟!
وأين العشيات أنس الوجود .. وظل الزمان بها نحتمي ..؟!
ايظلم ليل المنى ؟ والربوع الصبايا .. عن المهد لم تفطم ...
فكيف اذا قذفتنا السنون .. الى الأمد الابعد الاعظم ..
... هوالكون .. اين الوصايا ؟ واين العقول ؟؟ واين الفؤاد العظمي ؟

***

أفي المهد ... تنساب دنيا الدماء ؟ .. وتسفكها القوة الباغية
... وفوق الثرى ، أرجل كافرات ، تطوف عـابثة ، لاهية
ويرفع للظلام ، حر اللواء ، وينشر احلامه القـانية ...
ويرخص مهد المسيح الأبي (لصهيون) في ليلة جانية ؟ !
... اذا ظفر الباطل المستبد وانشد «زغرودة» .. زاهية
فللحق من بعده جلجلات .. تصدّعه في لمحة الثانية ...
لنا النصر .. لن نمحي .. والوجود ، لاعلامنا الحرة السامية .

***

... وغبت عن العين ... في هـالة تلفك للملأ الارفع
فشيّمت ذاتك بالصاعدات من القلب .. بالامل المبدع ،
لنا ... في خضمّ الزمان ... المسيح ، وقلب سوى الطهر لم يجرع
... لنا مهده ، يعربيّ الحيـاة ، يهدهدنا في الاسى المترع
اضاء على الحالكات الطوال ... وما زال في برده الامرع ..
الى القدس .. في المولد المرتضى .. الى الحق .. في البلد الامنع
سنعرف كيف ندين الزمان .. فيمشي كعبد الهوى .. الطيّع ..

انك تأخذ حين تعطي !

بقلم عبد القادر السبعي
ليسانسيه في الآداب من جامعة فؤاد الاول

☆

اليوميات ١٥ مايو ١٩٦٥

أجد في نفسي ما يحملني على الكتابة اليك، ولا اجد قوة في مقدورها ان تحد من هذه الرغبة او تصرفها عن ذهني ولو الى حين .

اكتب اليك، وفي النفس أفكار تموج ، وتتطاول الى الاستعلاء كيما تجد لها متنفساً في الروح مما فيه تنفثون ، او لتعود كما جاءت آتية من عمق ما له من نفاذ . ومع كثرة هذه الافكار المائجة فقد تجات من بينها صورة واحدة ، وتميزت عن كل ما عداها من الافكار حتى لتحسبها نموذجاً ثابت التكوين لشدة عمق الاحساس بها وكانت تضفي النور على ما حولها من صور عابرة كانت بسبيل التجلي ، ثم انطوت عن ذاتها؛ لقد تركتك تستذكر للامتحان فخير ما ارتجي لك ان تتم عملك على خير ما يدعو الى الاطمئنان . وثق ان ما انفقته من جهد لن يضيع مطلقا . ولذة الاخذ التي نتقبلها بحبور ، وفرح ان تحملها الينا الحياة كما لن تنشر عليها ظلاً من الرحمة كذى اجنحة من رياش لا ، ولا روح الظلال . بل كثيراً ما يسبقها انفاق جهد ذاتي ، او عطاء . ولذلك ترانا لا نسعد بلذة الاخذ فحسب بل بلذة العطاء ايضاً بما نقدمه من خير، وان كان ضعيفاً متزناً، او ننفقه من جهد ، وان كان بغير كبير عناء، او نتذرع بالصبر ، وان كان تحمله مرهقاً ، وان حرمنا السرور بالحياة حتى لو هيأته لنا الظروف العابرة ، او نمارس نوعاً من الشعور الدفين، وان كان الاحساس به مؤلماً بحيث يفقدنا كل مقدرة على التخلص منه او الانصراف عنه ، ولو الى حين، او نتقبل الضر مرغمين لعلنا نستأنس فيه المنفعة ، او تسليماً بقضاء المصير ، او يشرق فمنا عن ابتسامة هادئة ساخرة ، او راضية « وان كان القلب منقبضاً ! » .

« والنواة التي لا تحتمل برد الشتاء لن تفرح بجمال نيسان » هكذا تكلم جبران العظيم . واذا اسعدك الحظ يوماً ما ، وزرت بيت الكاتبة الفرنسية « جورج صاند » خليلة « الفريد دي موسيه » و« شوبان ». فسترى هذه الكلمة الخالدة محفورة على المدفأة « اذا لم يكن طريقي معبداً في الارض السهلة ، فسوف اقتحم القمم الصخرية الشاهقة دون تذمر لاني اعلم ان كل جهد يتضمن في ذاته الجزاء الكافي عنه! وان الآفاق الواسعة تنتظرني في آخر الطريق » . فليكن اذن عطاؤنا مترعاً ، وان انتزعناه من مقومات وجودنا فبذرة القمح التي نأخذها من ذخيرة حياتنا ونبذرها في الارض كم من الطيبات توفي الينا ، من سنابل مذهبة كم كانت تحيي قلوبنا ، وتفعم بالغبطة نظرنا . وتغذي بالعصارة المباركة دمنا والنحل يا صديقي لا يني يغني ويرف ، ويرشف اللذة من كل زهر ، ولكن لذته تتعالى اكثر ؛ واكثر حينما يئن ، ويتألم ليهب عصارته عسلاً مصفى ! والزهر ؛ والريحان ألم تركيف يرشفان من الماء رياً ، واشعاعاً من النور ثم يفجرانها اما ندي مخضلاً او عابقاً من عبير . ومثل ذلك الانهار المتدفقة فما اكثر ما تجري ، وتجري، لتسكب هبة الينابيع في البحر العميق لا لترسب الى الابد في اغواره ، وانما لتتبخر مرة بعد اخرى فوق لججه ، وتتعالى لتنزل غيثاً مسبلاً على الشقوق التي خرجت منها ! . واتحدث اليك فيما اتحدث ، وانا مطمئن البال الى انك تفهمني لانك مارست ، وتمارس نفس الشعور الذي مارسته من قبل ، وتجتاز من بعدي في نفس الظروف التي سلكتها . لقد كنا بعد الانتهاء من الامتحان مثل ذلك البستاني المكدود الذي ربط سنابله بعناية ثم استكان تحت ظل الحقل لينام ولكن هل كنا حقيقة مثله نستكين الى

الراحة ، او هل كانت هذه المسكينة تجد سبيلها الى القلب قبل ظهور النتيجة . فكم كان يتملكنا نوع من الشعور الغامض غير قابل للاستقرار ، كان يحمل على التشاؤم ، وعلى الخوف والاضطراب ، والفزع بقدر ما كان يحمل على الامل . . ومن العجيب انه كان يحمل على الرضا والطمأنينة ! ويوم كان يقال لنا ان النتيجة ستعلن صباح غد كنا نذهب ونقف وتقف معنا الجموع حول ذلك المخلوق الذي سيعلن النتيجة .

فكم كنا امامه كمن ينتظر الحكم امام ساحة العدل . فترانا وقد غشينا صمت رهيب الا من نبضات قلب يختلج في اعماقه ، وتتعالى دقاته ثم تنخفض . . . وترانا وقد تركز انتباهنا حول موضع واحد ضيق كأدق ما تكون الاشياء الصغيرة التي يحيط بها النظر لاول نظرة ولا يغيب ذاهباً في الفضاء على غير هدى كما في اللانهائي من الاجواء . واما هذا الموضع الضيق الصغير ، فهو شفة ذلك المخلوق الذي يعلن النتيجة ، ولقد قدر لها وفي هذه اللحظة بالذات ان تحكم لنا ، او علينا ، وان تهبنا السرور او الاحزان . فيا لها من ساعة بالغة التأثير ينسى الانسان فيها كل شيء الا نفسه فما اكثر ما يذكرها طلاب الجامعة . وما اقل ما ينساها احد منهم . اما اولئك الذين يخافون مما هو ضروري ، وواقع محتوم او الذين لا تحتمل اعصابهم مشاهدة امثال هذه المواقف فانهم يظلون في مساكنهم ، وهم يفضلون ان يحمل اليهم النبأ على علاته ان خيراً او شراً . واما المجدون الذين كتب لهم النصر لنهجهم اسبابه ، وما تذمروا اثناء السير ، وما يئسوا حتى النهاية لانهم تحملوا رسالة الحياة التي تقوم حيويتها على الاستمرار وعدم الاسترداد – وهي بدون ذلك حياة جامدة – هؤلاء كانوا يأتون لينظروا ، وليسمعوا نتائج اعمالهم وقلوبهم عامرة بالايمان واليقين . واما الشك ، واما الخوف فلا يمكن لاحدهما ان يجد سبيله الى قلوبهم » لقد قرع الخوف الباب فأجابه الايمان ، فلم يكن احد بالداخل » ولو اسعدك الحظ مرة اخرى ، وزرت فندق « هنذهد بلدة براي » بانكلترا لرأيت على رف الموقد ايضاً هذه الكلمة السالفة التي تصور روح هؤلاء على نحو رائع جليل وما كان لهم الا ان يكونوا كذلك .

اليوميات ١٥ اكتوبر سنة ١٩٦٧

كثير من الاماكن ، والايام قد يمضي الانسان عابراً بما يحدث فيها ، فلا يكون لاثرهما الا ما لاثر الحجارة الهاوية في اليم ! صوت قصير . . ثم سكون ابدي في الاعماق ! لا يكون لاثرهما الا ما لهذه الفقاقيع اللامعة التي تنبعث آتية من اعماق اليم . . لتغيب فيه مرة اخرى . – ويقولون : « انها تطفو لا تفهم من اين جاءت . . . ولا تعرف الى اين ذهبت . . » –

لا يكون لاثرهما الا ما لاثر هذه الشرارة المشرقة ، التي تنفصل من النجم ، وتهوي في غمرة الظلام ! .

– ويقولون : ان النجوم عندما شهدت هذه الشرارة قالت في نفسها : « اننا لم نفقد شيئاً . . فما فتأت السماء مضيئة كما كانت من قبل – غير ان البعض الاخر من هذه الاماكن ، والايام ، يستطيع ان يفرض ، ويثبت وجوده مستمداً حيويته من روعة الحياة . والامر كذلك بالقياس الى أيام شاطئ « بلطيم » فقد تملكت هذه الميزة ، واكتسبتها عن جدارة ، لا لشيء الا لانها اتاحت لي شرف التعرف بك ، وشرف صداقتك التي اعتز بها ، حتى أصبحت لا اكاد اذكر هذا الشاطئ الا وتتمثل لي انت ، ولا اكاد اتخيلك حتى يتراءى لي الشاطئ . . . و « ج » الصغير . وتلك المراكب الشراعية الرومانية التي كنا نصنعها له فصورتكما ممتزجة ابداً ، كوحدة الصورة ، والاطار ، ووحدة الموج بالماء .

وليس من المستطاع ان انسى كيف كان الصغير « ج » يأتي في الصباح الباكر ليوقظني من النوم ، وكان يزيح عني الغطاء ، ويستعجلني لاصلح العطب الذي أصاب مركبته ، ولم يكن مطلقاً يتيح لي اقل مهلة اصلح فيها من شأني . كان يناولني العلبة التي كانت تحتوي على بعض هذه الادوات الساذجة التي كنا نستخدمها في صنع المراكب الصغيرة من خيط ، وابرة ، وسكين مكسور ، وبعض القطع من الاخشاب وقصاصات من الورق الابيض الشفاف الذي كنا نعمل منه القلاع الرفافة . واشياء اخر من الادوات غير كثيرة .

واذن لولا هذا الشاطئ ما كنت لأحظى بمعرفتك ، ومن كان يدري ولولاك ما استطاع هذا الشاطئ الموحش ان يعلق بذهني ، ويثبت وجوده بهذه الروعة .

كم كنت أقول في نفسي . ان كل شيء فيك يملأ النفس تأثراً ، وحيوية ، فلقد كساك الله بكل صفات الجمال حتى الصفات الروحية منه . وكنت اقول في نفسي ان هنالك كثيراً من الفتيات يدعون ايضاً باسمك لكن ينقصهن شيء اسمى غير قابل للتحديد اختصصت به أنت وحدك .

اني اصلي لله الخير ليبارك صداقتنا ، ويرعى حياة والدك ، ذلك السيد الكريم الذي لن يغيب ذكره في غمرة النسيان .

القاهرة　　　　عبد القادر الصبحي

الورقة الاخيرة

في الحي اللاتيني من مدينة باريس وفي بيت متواضع للغاية اقامت ماري وروز ، وهما فتاتان ايطاليتان تحترفان الرسم ، وكان بيتهما الحقير مطلاً على حديقة فيهـا شجيرة من الحلبلاب تتسلق جدار البيت المقابل .

وكان يساعدهما في اعمالهما تلك رسام تقدمت به الايام ، لا هم له الا السكر . يعيش على النزر اليسير الذي تنفحه به تانك الآنستان لوقوفه موقف المثال في اثنـاء الرسم . وكان يفاخر وهو ثمل بانه سيرسم صورة خالدة في يوم من الايام .

اقبل الخريف فاجتاحت باريس موجة من الزمهرير خلفت روز طريحة الفراش تعاني آلاماً ممضة من ذات الرئة .

كانت ماري تبذل جهداً جباراً لتوفر لزميلتها اسباب الراحة واجور الاطباء . لكن روز كانت ترفض كل ما يقدم اليها من طعام وعلاج ، وتظل في فراشهـا ناظرة الى شجرة الحلبلاب المتسلقة على الحائط المقابل .

احضرت صديقتها الطبيب ولما اتم فحص المريضة اسر الى ماري ان الامل في نجاة روز من الموت لا يزيد على نسبة واحد الى عشرة . ولكنها اذا رغبت في الحياة تحدوها رغبة تسعى الى تحقيقها تضاعف الامل في نجاتها . فاجابت ماري ان لها رغبة في ان ترسم صورة لخليج نابلي . فاجاب الطبيب باستخفاف «ليس هذا بالامل الذي يحبب الى الناس الحياة . الا يوجد لهـا حبيب مثلاً ؟ . اجابت ماري « اننا نحن الفنانات لا نجد للرجال كل هذه القيمة ، وهل الرجل حقاً كل هذه القيمة في حياة المرأة ؟ » .

نظر الطبيب اليها نظرة مثقلة بالمعاني وودعهـا وانصرف دخلت ماري الى غرفة صديقتها واخذت تسري عنها همومها وتحبب اليها الحياة مدعية ان الامل في نجاتها كبير ، ومع هذا فقد ظلت روز على اصرارها وعندما أحضر لها الطعام اقصته عنها قائلة « دعيني اموت انني لا احب الحياة ، فما خير حياة تنقضي بلا امل وتمر بلا رجاء ؟ » .

خرجت ماري دامعة العينين فسمعت صديقتها وهي خارجة تعد خمس عشرة ، اربع عشرة . . ثلاث عشرة . . اثنتا عشرة . » فقاطعتها سائلة : « ماذا تعدين يا روز ؟ » فاجابت : « الا ترين هذه الحلبلابة التي كانت تغطي جدار الكوخ باوراقها ؟ لقد كان عليها الوف من الاوراق في الاسبوع الماضي اما اليوم فلم يبق عليها سوى اثنتي عشرة ورقة ، وسيكون سقوط آخر وريقة ايذاناً بانتهاء حياتي » .

غضبت ماري واغلقت النافذة وخرجت من الغرفة منتحبة فقابلها الرسام الهرم وسألها عما بها فاخبرته بما كان بينها وبين الطبيب وما علق في ذهن روز من وهم قاتل قادهـا الى تعداد اوراق الحلبلابة معتقدة ان حياتها متعلقة بآخر ورقة منهـا ، فهز رأسه صامتاً يخاطب نفسه « لقد جاءت ساعة خلودك يا توما ! » .

عادت ماري تحاول ان تجد اسباب الترفيه عن الصديقة العليل ولكن عبثاً حاولت . لقد قضت ليلها بجانب سرير روز ، وفي الصباح الباكر ارتفع صوت العليلة آمراً « افتحي النافذة » .

فتحت ماري النافذة وكان على الشجيرة خمس وريقـات ، اخذت تتساقط حتى لم يبق على الشجيرة سوى وريقة واحدة . وفي المساء اغلقت النوافذ وهبت العاصفة عاتية هوجـاء ، وسقطت الثلوج وهطلت الامطار بغزارة وفي الصباح الباكر عندما فتحت النافذة كانت الوريقة ما تزال صامدة للاعاصير ، وفي اليوم التالي كان الاصفرار يعلو حواشي الحلبلابة والذبول يعرو ساقها اللدن ، لكن الوريقة الوحيدة صمدت تهزأ بالاعاصير وتسخر من غضب الطبيعة عشرة ايام .

وفي اليوم الحادي عشر افاقت روز فرأت الوريقة باقية كأنها صرح ممرد اقامته الطبيعة لتقي حياتها فهتفت من اقصى ضميرها « رباه! عجيبة هي اعمالك ، انك تريد ان احيا وقد كنت ارد الموت ، فلتكن مشيئتك يا اله الموت والحياة . ! » .

سارت روز الى الشفـاء بسرعة مدهشة ولم ينقض اكثر من اسبوع حتى كانت تزاول عملها بنشاط . وفيما هي تفكر في تلك الوريقة التي كانت السبب في شفائها سألت صديقتهـا : « اين رسامنا الهرم المسكين ؟ » .

اجابت ماري « او هل تذكرين نبوءته عن رسمه الخالد » .

قالت روز « اجل اذكر ذلك ولا انساه » .

قالت ماري « في تلك الليلة العاصفة خرج توما ومعه ادوات رسمه وسلم وفانوس ، تسلق الحائط المقـابل ورسم عليه تلك الوريقة التي كانت سبباً لنجاتك من موت محقق ، وعند رجوعه اصيب بذات الرئة وتوفي في يومه الثاني » .

فطفرت على خد روز دمعة هي مزيج من الحب والاجلال وعرفان الجميل وقالت : «انه لعظيم في فنه وخالد في كرمه وحبه!» .

شرفي الاردنه ترجمة : عادل روكس العزيزي

بقلم الدكتور فيكتور بوشيه



ترجمة خليل عزيز شطا
ليسانسيه في الآداب من جامعة فؤاد الاول

☆

لك ان شئت ان تقود الحياة او ان تقودك الحياة فاختر لنفسك ما يحلو





الحياة* اشبه شيء بنهر تشق عبابه قوارب عدة، كل قارب يقوده ملاح، فاما ان ينتظر هذا الملاح مشيئة الاقدار، فيقف بين الصخور او على كثيب من الحصى ينظر الى الميناء البعيد نظرة اليأس، واذا حاول ان يواصل سيره قذفه التيار على غير هدى.

واما ان يتبارى مع التيار ويقاوم الانواء مرهف الحس، قوي العزيمة، فيقود مركبه كما تملي عليه ارادته ويقف حيث يرى في الوقوف حكمة حتى يصل الى شاطىء السلام في هدوء والطمئنان.

تلك هي صورة الحياة البشرية.

واعلم، ايها القارىء، ان حياتك قائمة على طباعك، وان طباعك مجموع عاداتك وغرائزك، يخلقها تكرار الافعال. ولا تنس ان الفعل يبرز الى حيز الوجود بدافع من الافكار، وان افكارك تسيرها الايحاءات التي تتلقاها من الناس والبيئة. وعليك أنت يتوقف قبول هذه الايحاءات التي تكفل لك النجاح والصحة والسعاده، وهذه هي حرية الاختيار.

واذا اخفقت في الحياة فمن العبث اتهامك الظروف والاقدار لان سبب اخفاقك راجع اليك انت والى الاخطاء التي صدرت منك نتيجة عيوبك التي لم تتعهدها بالتهذيب والاصلاح، ونتيجة قواك الكامنة التي لم تعرف كيفية استثمارها. فعليك اذن تقع مسؤولية جميع اعمالك حاضرة وماضية.

والانسان — كما تعلم — آلة اللاشعوره، خاضع لسيطرته ومنفذ لاوامره، لذلك لا بد من تربية هذا اللاشعور حتى يسود نفسه قبل ان يسود غيره.

هذا، وتربية اللاشعور — وهي غاية الفرد الاساسية — تقوم، كما قلنا على استثمار ما يكمن فيه من القوى التي تساعده على التطور والارتقاء.

ويتحدث بول نيستر عن هذا التطور بقوله: «لكي يخلق الانسان في مملكة الحيوان والنبات نوعاً جديداً يرغب فيه ويحتاج اليه، فانه يبدأ باستثمار ذلك الميل الى التطور الذي يكمن في الزهرة البرية او في الحيوان الوحشي، وبعد سلسلة من العمليات التناسلية تصبح الزهرة البرية زهرة رائعة بالوانها، زكية برائحتها، ويغدو الحصان العربي اصيلاً بعد ترويضه».

واذا كان الامر في عالم الحيوان والنبات على هذا النحو، فأحرى بالانسان ان يتطور تطوراً ارادياً وان يصل بلاشعوره الى حالة من الكمال تكفل له اكتساب الصحة وبلوغ النجاح.

وقديماً كان يؤمن الفلاسفة بخلود الروح وتقمصها في اجسام عدة. اما انت فعليك ان تؤمن بتقمص الروح على اشكال متعددة في جسمك الواحد، او بعبارة اخرى ان تثق بقدرتك على التمتع بالوجود في صور مختلفة. على ان كل حياة جديدة تحياها قد تدفع بك الى التقدم أو قد ترجع بك القهقرى. وهنا ايضاً تقع عليك مسؤولية الصعود في معارج الكمال او الهبوط في السلم الاجتماعي.

فأما الارتقاء والنجاح، فلا يكفيها اتباع الشهوات والمطامع

* ترجمة الفصل الثالث من كتاب (طريق السعادة):
Le Chemin du Bonheur Dr. Victor Pauchet

بل يقومان على تنمية القوى الجسمية والفكرية ، وعلى ما يستطيع المرء اسداءه من الخدمات للناس . وتلك غيرية مفيدة تعود عليه بجزيل النفع لانه ، اذ ينمي شخصيته يكون مفيداً للانسانية . وليس من المعقول ، من جهة اخرى ، ان تنمو الانسانية من جراء مساعيه من غير ان يفيد هو من نموها .

وابدأ بمعرفة ذاتك لكي تقطع في التطور شوطاً بعيداً مستعيناً بالتحليل النفسي ان كنت ملماً بعلوم النفس او مستشيراً عالماً نفسانياً يستطيع ، بالاستناد الى خطك وهيئتك العامة وملامح وجهك وشكل دماغك ، ان ينبئك عن مكامن قوتك ومواطن ضعفك .

وقد تثبط من همتك تلك المقارنة التي اجريتها بين التطور الشخصي والارادي ، وبين ترويض الحيوانات وتربية النباتات فتظن ان تقدمك لن يكون الا بطيئاً .

وانت تخطىء في الواقع ، لان الاجسام الدنيا تتطلب زمناً طويلاً الوصول الى تغيير ما ، بينما يستطيع الانسان ، معتمداً على ارادته وملاحظته الشخصية ان يغير في مدة وجيزة من الزمن طريقة تفكيره وتكوين جسمه التغيير الذي يصبو اليه .

وانت تعلم ان جسم الانسان يتركب من خلايا ، وان هذه الخلايا تموت وتنعدم ، وتقوم مقامها خلايا غيرها . فتكون الحياة هدماً وبناء في آن واحد . وعلى الانسان ان يستثمر هذا التغيير المستمر في سبيل تحسين كل جزء من اجزاء جسمه ، وبنوع خاص في سبيل تحسين دماغه ، اذ يستطيع ان يحوّل من مجرى افكاره وعواطفه بتنمية بعض المراكز الدماغية . لان الدماغ يسيطر على حركاته وجلسته ومشيته ووظائفه العضوية . وحينئذ الى جانب تطوره الجسمي تتطور حياته العقلية والاخلاقية تطوراً هادئاً يساعده على ان يبقى منسجماً مع اقرانه وبيئته .

ولقد قلنا في معرض الكلام عن تربية النباتات التي تستطيع التطور بأن التربية الحقة لا بد لها من اتباع قوانين الطبيعة وتوجيهها الى نواح معينة . تلك هي الخطة التي يجب ان تسير بموجبها في تطورك الذاتي ، لانك تؤلف جزءاً من كل ، فعليك ان تدرس العلاقة التي تربطك بمحيطك ، والا تخالف القوى التي تسيطر على بيئتك ، بل من الحكمة ان تخضع لهذه القوى على ان توجهها توجيهاً يساعدك في تحقق امانيك .

فلا تحاول ان تحيا حياة ليس في وسعك ان تحياها ، اذ ليس في امكان البستاني ان يحول قرنفلة الى وردة ، فلا تعلل نفسك مثلاً بأن تصبح في القريب العاجل رجلاً عظيماً كنابليون او ان تغدو روبنس وبتهوفن . ولكن لا تنس ان لك شخصيتك الخاصة التي تختلف عن شخصية اقرانك ولا تقل عظمة وجمالاً ونبلاً عن شخصية اي مخلوق آخر . هذا ، اذا استثمرتها وقدرتها حق قدرها وجعلتها منسجمة مع بيئتك ، بارزة اذا قيست بما يحيط بك ، وواسعة اتساع نطاق مزاياك التي اكتسبتها من ابويك . ان كونك رجلاً حراً مسؤولاً يخولك القدرة على ان تصبح الرجل الذي تريد .

والخلاصة ان تطورك الارادي يقوم على تنمية مواطن ضعفك ، تلك المواطن التي تعرقل او تؤخر نجاحك المادي والمعنوي ، وعلى تهذيب ما يكمن فيك من قوى عظيمة هي منشأ رغائبك وميولك ، فتروّضها حتى لا تكون عقبة في طريق طموحك ومشاريعك .

وهناك ميلان جديران بأن يثيرا انتباهك ، اولهما ان تسعى الى جميع شؤونك المادية سعياً لا يتطلب منك الا اقلّ جهد ، وثانيهما ان تتطلع الى المثل العليا من خير وجمال وحقيقة .

١ - اكبر انتاج بأقل جهد

سر بموجب هذا المبدأ ولا تحد عنه ، واذا كان يبدو انانياً في ظاهره ، فانك حين تحسن تطبيقه يكسبك ثراء ومضاء في قواك العقلية والجسمية ويجعلك اكثر نفعاً للناس .

فاحرص على مجموع قواك ، ودرّبها كلها حتى لا يذهب سدى اقل مجهود تبذله ، وكن منسجماً مع محيطك ، وليتم هذا الانسجام اشير عليك باتباع بعض النصائح التي اكتسبتها من تجاريب الحياة .

أحبّ الحياة كما هي في حالتها الراهنة ، تبدُ لك اكثر جمالاً واعظم روعة وجلالاً . ولا تزدر نفسك ولا تنتقد اي شخص كان ، على الرغم من مغامز الرجال وعيوبهم .

ولا بأس ان تقارن عصرك بالعصور الغابرة ليظهر لك تقدم الانسانية القائم على الجهود الشخصية . وفكّر اخيراً انك لا تستطيع ان تقلب العالم رأساً على عقب ، بل كل ما تستطيع ان تعمل ، هو ان تدفع بكتفيك قليلاً هذا العالم الى الامام ، وقل في نفسك : « ان تحسن بعض الاشياء في القرن الحاضر يجعل التطور اكثر كمالاً في القرون المقبلة » . ولا تنس ان معلوماتك الحاضرة لا تخولك تقدير الحوادث حق قدرها ، لان لها احكاماً غامضة تخفى على تفكيرك .

فقد تقع اذن في الخطأ حينما لا ترى سبباً لبعض الاحداث ، او حينما لا تقدّرها تقديراً صائباً . اسع في ان تغير من موقفك في الحياة لكي تتحرى مكان الصواب وموطن الحقيقة . ومهما يكن

من امر اظهر الاعجاب بكل شيء بدلاً من ان تنتقده ، وأعر انتباهك الى كل ما في الوجود تجده جديراً باعجابك وتقديرك . واعتقد ان العالم كائن تام الانسجام .

هذا، ولا بأس من ان تطيع ما اودعت فيك الطبيعة من ميول وغرائز . واذكر ان القوى الحيوانية المعدة لحفظ الحياة وبقاء النسل قد تجلب لك عند استعمالها بعض اللذات ، فلا بد من ان يكون التمتع باللذة تمتعاً معقولاً ، لان سوء استعمال اللذات المادية اشبه شيء بالانتحار الجسمي والفكري .

٢ – عليك بتنمية صفاتك السامية

وتلك هي الغريزة الثانية التي يجب ان تعيرها انتباهك ، فهي تدفع بك الى السعي وراء كل ما هو عظيم ونبيل وجميل . واذا كنت تعتقد انك غير اهل للعواطف السامية فعد الى ماضيك وتذكر الشعور الذي احسست به عندما شاهدت عملاً تجلت فيه التضحية ، او طالعت حادثة برزت فيها البطولة ، او تأملت مشهداً فخماً او قطعة فنية رائعة ، ففي كل هذه المواقف لعبت ميولك السامية دورها العظيم ، فجعلتك تحن الى تلك الاعمال المجيدة والمشاهد البهيجة وتصبو الى تصورها وتحقيقها .

ميل الطبيعة البشرية الى الخير

قلنا ان غايتك القصوى في الحياة تحسين طباعك وتنمية قواك السامية ، وحينئذ يكون افضل الناس من يساعدك على بلوغ هذا الهدف . كن واثقاً بأن صفوة الانسانية قائمة الى جانبك تشد ازرك وتدفع بك نحو التقدم والنجاح .

ثم لا تنسَ انك في تطور مستمر ، شئت ام أبيت ، وان ما تتميز به من رغبات وميول وذوق وطباع آخذ في تحول بطيء بتأثير الظروف المحيطة بك والافكار التي تخطر على ذهنك والايحاءات التي تطرأ عليك . وقد يكون تطورك رجعياً بدلاً من ان يصعد بك في سلم الرقي والكمال اذا اذعنت الى الفاسد من الايحاءات .

لديك اذن كل المواد اللازمة لبناء شخصك الجديد بناء حراً واذا كنت في حاجة الى مهندس يصمم لك الرسوم الرئيسية لهذا البناء ، فمن صالحك ان تقبل ارشاداته موقتاً ، وان تطبقها بكل امانة ودقة وحماسة ، حتى اللحظة التي تشاهد فيها ذلك البناء يعلو عن الارض ، حينئذ تتأكد ان اسسه اللاشعورية متينة . وكلما ارتفع البناء رويداً رويداً تبين لك ما فيه من نفع وعظمة وجمال .

حمص خليل عزيز شطا

يأس

« لبالا زيتشي »

●

من انا ؟
شاعر . ؟ ربما . . .
لا . لان يراعة نفسي ما سطرت
يوماً ولن تسطر غير كلمة واحدة :
جنون

☆

من انا ؟
فنان . ؟ ربما . .
لا . لان ريشة نفسي
ما صبغت غير لون واحد :
سواد

☆

من انا ؟
موسيقي . ؟ ربما . .
لا . لان اوتار نفسي
ما عزفت غير نغم واحد :
شجون

☆

من انا اذن ؟
لقد نظرت من خلال عدسة
الى قلبي لاعرف من انا . .
فاذا انا بهلوان يتأرجح على حبال نفسي .

ترجمة حفيد الامام

تحس خيالاتنا ..

.. ووضح عندي ، من بعد ، أن القرب والبعد سيان ما دام في استطاعة النفس ان تجرد الحب التجريد الذي يعيش فيه الحي في خلود يانع ..
—وما قلتها الا وقد انتهى الي البقاء بجملة روحه ومعناه ..

☆

حنين وشوق .. ولن يعهدا بقرب ، وراح التمني سدى ..
أضحك للصدر والاشتيـاق على القرب من منتهاه ابتدا ..
وصبري في عتمات الفراق بصبري عند اللقـاء اقتدى
فلو نقطع الدهر نحو الخلود اعتناقاً .. لما ابتل مني الصدى
كـأني ورثت الحنين القديم فضل ضلالي وغـام الهدى

***

اتخلد ايامنـا — والهوى يعربد فيهن ما عربدا —
تفاصيل ؟ تحلو بتكرارها نعاودها مشهداً مشهدا ..
بلى . سوف يأسرنا شاعر ويسجننا بيت شعر غدا
نضلل معناه في تيهنا .. فيشرد ما شاء ان يشردا ..
تضل الحلوم بآفاقنـا .. وتسرد في توهان المدى ..

***

نعود ؟ لسوف نعود . ولكن بغير الاهـاب نُرى عوّدا
نند مع اللحن — اوهامنا — ترجّعنـا هينمات الصدى
ننمنم كالسر في خـافق ونهتف من رقرقات الحدا
يمر بأوطارنا آخرون .. فيلبسهم حبنـا المقتدى
تظل تحس خيالاتنـا .. وتسري شخوصاً وتجري ددا
بأوهامنا يُستبلّ السحاب ويبرد بالنسم منـا الندى
اذا حلم الليل بالدغدغات ترامى على أمسنا واجتدى

دمشق

عبد الحكيم مراد

في الادب والفن والحياة

بقلم انور المعداوي

مهداة الى الاستاذ سهيل ادريس

✡

موكب الحرمان

كانت لقلبه في محراب فنها صلوات .. وفي محراب فنها كم صلت قلوب ، ولكني لا اعرف قلباً اطال السجود مثل قلبه ! .. كان يقدسها وهي ترسل النغم فينصت الوجود ، يوم كان في انغامها انين وحنين ، وفي الحانها تهويح وتسبيح .. وكانت حين تغني له وتغني نفسها في غنائها ، اشبه براهبة متعبدة ، تندت من دموعها صفحات الكتاب المقدس ، واقام لها في معرض الفكر صوراً فاتنات ، وحشد لها الخيال عدها بكل ما في ابداعه من الوان وظلال ! . كانت فنانة ، وكانت انسانة ، وخيل اليه يوماً انها سمت بنفسها وانسانيتها الى الحد الذي تشعر عنده الكلمات بأنها في حاجة الى عون الوحي والالهام .. وكانت قصتها اسطورة عذبة ، بمثلها لم يخط في الوهم يوماً خيال ، ولم يهتف في البيد يوماً رواة ، كلا ! ولم يكتب يراع ، وكان حبهما أنشودة حلوة ، بمثلها لم يخط في الفن يوماً وتر ، ولم يشر يوماً في اليم ملاح ، كلا ! ولم يسمع شراع ! .. وكان معبد القديسة يملأ النفوس رهبة ورحمة وحناناً .. كان الترتيل يهز جوانبه بين حين وحين ، فتهتز المشاعر وتتعانق الانفاس ، وتهوّم الارواح ، وكانت اغانيها نشوة الشعور في موكب الافراح ، وفرحة القلوب في عرس الحياة . وفي ومضة البرق لفها الليل .. فقد كل شيء : معبد القديسة ؟ ! لقد خيم في جنباته السكون ! .. معرض فكره وصوره الفاتنات ؟! لقد محت ريشة القدر كل ما فيها من الوان وظلال ! .. وها هوذا النبع قد جف ، والزهر قد ذبل ، والعطر قد ذهب الى غير معاد ! لقد لقيت مصرعها في حادث لا يزال يذكره الناس وذهبت باحلامها واحلامه الى هنـاك .. الى وادي العدم .. والنيل الحبيب الذي بارك امسياتهما لا يزال يجري ، والقمر الساحر الذي رعى حبهما لا يزال يبزغ ، والليل الساكن الذي كتم سرهما لا يزال يقبل كلما ولى نهارا .

اما هو ، فيا سوء ما فعلت به بعدها الايام .. لقد طوى القلب على احلامه وعاش من بعده على اطلال الذكريات ، ولقد سار وحده في مواكب الحرمان : يهتف للانّة الحائرة ، ويصفق للزفرة المحرقة ، ويعود آخر الامر وملء نفسه اشلاء آمال ! .. واما حياته ، فيا سوء ما اصبحت ... لقد اصبحت أقباساً من وهج اللوعة ، وفنوناً من عبقرية الالم ، وخريفاً لا يعرف طعم الربيع الا من افواه الناس ! .

انحراف المواهب

قرأت عن الكاتب الفرنسي الكبير جورج ديهامل عضو الاكاديمي فرانسيز ، انه درس في بدء حياته الطب ، واشتغل بهذه المهنة ، ولما قامت الحرب العالمية الاولى خدم فيها كطبيب في المستشفيات الحربية ، ثم هجر الطب الى الادب فنبغ فيه نبوغاً أهّله لان يكون عميداً من عمداء الادب الفرنسي المعاصر . وهو بهذا يمثل ظاهرة تستوقف النظر ، وتغري بالبحث ، وتدعو الى التأمل والمراجعة ، هي ظاهرة انحراف المواهب ! ولقد كنت ابحث هذه الظاهرة عند عباقرة ثلاثة غير ديهامل ؛ يمثلون ثلاثة الوان من الادب العالمي الرفيع ، جمع بينهم في مستهل حياتهم ميل الى العلم وانصراف اليه ، ثم تحولوا عنه الى الادب فتهيأ لهم مـن النبوغ وذيوع الاسم في ميدانه ، ما لم يتهيأ لهم في ميدان العلم . اول هؤلاء الثلاثة وهو جيته شاعر المانيا الخالد ، كان عالماً يبحث في الالوان ، ويضع الاصول للرسم والنحت ، ويعالج التأليف في الازهار وفلاحة البساتين ، وثانيهم وهو إبسن الكاتب النرويجي العظيم كان في شبابه عالماً في الكيمياء ، وثالثهم وهو ويلز الكاتب الانكليزي الكبير ، درس الكيمياء ايضاً في شبابه ، ثم التحق

التحق بجامعة لندن ونال منها درجة في العلوم اهلته لان يعيش بها استاذاً للباثولوجيا ! وليس عجيباً ان يكون الرجل منوع المواهب فيكون عالماً وأديباً وفيلسوفاً في وقت واحد ، ذلك لان بعض المفكرين يمتازون بأنهم يجمعون بين ضروب مختلفة من الفن ، لانهم وهبوا من سعة الافق وخصوبة الذهن وصدق الاحساس ، ما يؤهلهم لان يشقوا طريقهم في هذه الفنون جميعاً ، ولكن الحق الذي لا شك فيه ان الموهبة الاصلية تطبع ناحية من نواحي التفكير بطابعها القوي السافر ، فتطغى على كل ما عداها ، ويتجلى فيها الاعجاز في اروع مظاهره ! والدليل علـى ذلك ان يتحول رجل كجيته من العلم الى الادب ، فيصـل بنبوغه فيه الى الحد الذي دفع كارليل الى وصفه بأنه اعظم ادباء العالم بلا استثناء ! وان يهجر رجل كابسن العلم الى الادب ويعالج كتابه الدرامة ، فيعده النقاد واضع الدعامة الاولى للادب المسرحي الحديث ! وان يشغف رجل كويلز بالدراسات الادبية ، فتكون مؤلفاته في ميدان هذه الدراسات ، هي سلمه الوحيد الى معارج الشهرة والتفوق ! .

ان السؤال الذي يتبادر الى الذهن هنا هو : لماذا تهيأ لهؤلاء الادباء من النبوغ وذيوع الاسم في رحاب الادب ما لم يتهيأ لهم في رحاب العلم ؟ الجواب الذي يقبله العقل على هذا السؤال هو ان مواهبهم الاصيلة كانت أدبية لا علمية ، والدليل على ذلك أنهم انحرفوا بها في بادىء الامر عن طريقها الطبيعي ، فلم تنتج الانتاج المرتقب الذي يناسب ذكاءهم ، وذلك في ميدان العلم ، فلما عادوا بها الى ميدانها الأصيل وهو ميدان الادب ، استطاعوا ان يصلوا الي مرتبة الخلق والابداع ! ومثلهم في رأيي كمثل البذور التي يلقى بها في تربة لا تلائم طبيعة نموها ، فهي تنبت وتنمو ولكنها في الغالب لا تثمر ، فاذا ما ألقي بها في التربة الصالحة ، نمت واشتدت أعوادها وأثمرت الثمر الشهي المرجو في مثل حالتها هذه الجديدة ، ومن الممكن أن نصف هؤلاء العباقرة الذين تمثلت فيهم ظاهرة انحراف المواهب في شبابهم ، بأنهم كانوا بذوراً أدبية ألقي بها في تربة العلم فلم تكتب لها الحياة !

العقم في الفن

يستطيع الباحث المتذوق المتأمل أن يلمس آثار العقم في بعض الفنون في هذا العصر الذي نعيش فيه ، العصر الذي يتبجح ابناؤه من الادباء والعلماء والفنانين ، بأنهم وصلوا الى مـا لم يصل اليه أسلافهم في شتى ألوان الادب والعلم والفن !

ويكفي هنا ان نعرض للونين من ألوان الفن هما التصوير والموسيقى لنقول ان العقم فيهما باد لكل من وهب نعمة الذوق الفني ، ذلك لان الحضارة الحديثة وتعقد مشكلاتهـا قد استبدت بالمواهب والعقول فوجهتها تبعاً لهذه المشكلات ، وما فيها من تعقد لم يدع لها من لحظات الفراغ ما يمكنها من استلهام الوحي في الفنون الرفيعة ! .

ابحث في الموسيقى المعاصرة في العالم عن فنان يعيد اليك ذكرى من بيتهوفن أو موتسارت او هايدن أو باخ او فاجنر او روسيني ، أو ينقل اليك نفحة من نفحاتهم ، فان تعثر الا على توسكانيني في ايطاليا ! وفي هذا الفنان بعض العزاء . . اما العزاء الذي يعز عليك ان تجده فهو في التصوير ، لانك لن تجد فناناً يقدم اليك لوحة من لوحاته يخشع لروعتها الشعور ويحلق الخيال ، لان عهود العبقرية قد انقضت بانقضاء رفائيل ومايكلانجلو ودافنشي ويوسان وروبنز ورمبرانت . . ! كان الناس في زمن هؤلاء العباقرة يعيشون للفن ، ويطربون له ، ويشجعون المواهب على ان تمضي في طريقهـا فلا انحراف ولا اعوجاج ، وإنما اتصال مطلق بالطبيعة واستلهام لمظاهرها وروائعها ، فلما تعقدت الحياة ظهر العقم في الفن ، لان المواهب استغلت في غير ميادينها جرياً وراء المادة ، فانحرفت وانحرفت معها الاذواق ، فلم تنجب حضارة القرن العشرين مثلما أنجبت حضارة القرون التي سبقتها ! ذلك لان المادية في شتى صورها أبعد ما تكون عن روح الفن ، وهذه الحضارة التي نعيش فيها حضارة قوامها المادة ، تبدأ منها وتنتهي اليها ، وتدفع الناس الى ان يتلمسوا الوسـائل لكسب العيش عن طريق غير طريق الفن ، لانه وسيلة غير مرجوة الفائدة ولا مأمولة العواقب في ميدان النضال مع الحياة ، فهم يتجهون باستعدادهم وملكاتهم اتجاهاً يبغون من ورائه الكسب المـادي والمكان المرموق . . والفن في رأي الماديين لا يحقق شيئاً من هذا ، وماذا تجدي الشهرة في رأيهم مع البؤس ، او يعود اليهم من المجد وفي ركابه الحرمان ؟ !

ان صوت هربرت ريد في كتابه « الفن والمجتمع » يضيع وسط ضجيج المادية الأهوج حين يقول : « يجب ان ننظر الى الفن نظرتنا الى كل شيء لا يستغنى عنه ، مثله كمثل الخبز والماء ، وعلى انه جزء من حياتنا اليومية لا يتجزأ . . وينبغي ألا يعامل الفن كضيف عابر ، ضيف يدفـع ثمن ضيافته ، ولكن كواحد من أفراد الاسرة سواء بسواء !

القاهرة — أنور المعداوي

« من الامناء »

الينبوع الدائم

بين يدي نشيد الانشاد لسليمان الحكيم ، ولعله أجمل صوت خرج من قلب الانسان لتحية الحب والربيع .. بل لعله اعذب تسبيحة للجمال بعثتها الينا تلك الازمان السحيقة ، ولا غرابة اذا وقفت أنا كما وقف « رينان » و« اندره جيد » حيال هذه النغمة الساحرة من تاريخ القلب البشري ، وجعلا يصوغان منها قطعات جديدة في نداء المرأة ، روحها وجسمها معاً ، بدنها الفياض بنعم الطبيعة ، وقلبها الساكن في نعمة ذلك البدن ! لتسمع هذه المرأة في خدرها ، تحلم ، وتغمغم .. ثم لتسمع بعد ذلك سليمان يجيبها :

« كنت نائمة لكن قلبي يقظان ، فسمعت صوت حبيبي يقرع اذني : « افتحي لي يا اختي ، يا حبيبتي ، يا حمامتي ؛ فان شعري قد كلله الندى ، ووجهي قد بلله طل الليل .

لقد كنت خلعت قميصي ، فنهضت أرتديه ، لقد كنت غسلت قدمي ، فقمت أطأ بهما التراب ، ومد حبيبي من الكوة يده ، فتحركت اليه جوانحي ، ونشطت الى الباب افتح لحبيبي ، ويداي بعبير المر تفوحان ، وأصابعي بعطر المر تخضب مقبض الباب . فتحت لحبيبي ، لكن حبيبي كان قد مضى وغاب ، فكادت تذهب بذهابه نفسي ، بحثت عنه فما وجدت اليه السبيل ، ناديته فما أجاب .

... آه أستحلفكن يا بنات أورشليم ، اذا وجدتن حبيبي أن تخبرنه اني من الحب مريضة .

... ان السيول الجارفات لا تستطيع ان تطفىء الحب ، والانهار المتدفقات لا تستطيع ان تغمر الحب ، ان كل ثروة تبذل في سبيل الحب زرية .

— أنتِ حسناء يا حبيبتي ، مثل « ترتزا » أنت رهيبة مثل اورشليم ، حولي عينيك عني ، فقد ألقتا الاضطراب في قلبي .

.. عيناك حمامتان هادئتان تحت نقابك ، وشفتاك خيط قرمزي ، وفمك كوب سحري ..

ان شعرك قطيع العنزات الرابض على جبل جلعاد ، واسنانك قطيع النعجات الخارجة من الماء ، كلها متئم وليس فيها عقيم .. وخدك شطر رمانة تحت نقابك .

ما اكمل جمالك يا عروس ، ما فيك عيب ولا نقصان ، هلمي نذهب معاً من لبنان . انظري من رأس « أمانة » وقمة « شنير وحرمون » الى غابة الفهود وعرين الاسود .. انك تسبين قلبي يا عروس .. ان حبك أشهى من الخمر ، وشذاك أطيب من كل عطر ، شفتاك يقطر منها العسل ، ثيابك يتضوع منها أريج مثل أريج لبنان . انت جنة مغلقة يا عروس . أنت عين مقفلة ، أنت ينبوع مختوم ، أنت نافورة انبثق ماؤها على صورة فردوس غرس فيه الرمان وتدلت العناقيد .

— « أنا سمراء ، ولكني جميلة يا بنات أورشليم ، اني كخيام « قيدار » ومقاصير « سليمان » لا تنظرن الى سمرتي ، فالشمس قد لوحتني ، غضب عليّ بنو أمي وجعلوا مني حارسة الكروم فتركت كرمي . أنعشوني بالزبيب ، وغذوني بالتفاح فاني من الحب مريضة » .

انك ستقف عند هذه المقاطع ، فتجد ان صوت الطبيعة قد خرس ، وان صدر لبنان قد دهمته سكرة من سكرات الضباب يذرذر قلبه الناعم في اعماق الاودية ومجاهل الشعاب ..

وبقي صوت المرأة التي تيمت سليمان يتردد ؛ من بعيد ، من وراء الآفاق التي دثرتها ثلوج « شنير وحرمون » أجل .. لقد بقيت تلك الجنة مغلقة ، ولم تزل نافورتها البيضاء ترف بأجنحة رشاشها السني عبر الدهور ...

هذا النشيد يأسرني ، لا لانه صادق العاطفة فحسب ، بل لأنه تعبير الطبيعة نفسها ، هو تعبير بسيط ساذج ، ومنطلق ، الحرية أجمل ما فيه ، وأماني القلب البشري أعذب ما يجول في نغماته .

يعجبني منه هذا العري المحبوب ، وأي عري .. ضحك الربيع الطائف بين الجبال ، توثب الحياة المتمرغة بطيوب لبنان ، رنين القطرات الفضية المنحدرة من مقلة لا تكف عن البكاء .. موسيقى الصمت الدائم في الذروة الباردة ! صوت المرأة الطريد ، تلاحقه رغبة الرجل في افياء الارز ، ينضح تعبيراً عن مشتهيات القلب ... يتكلم بألسنة كثيرة ، ويتحرك بأشرعة لا تحصى ، ويطير بأجنحة لا تسبقها الريح ..

دنيا فاغمة ، تترامى اليها العطور من كل فج .. من آلاف الازهار الوحشية التي تذبل ، ملقية بأعذب ذراتها النقية الى ذلك الصدر الأغيد ، تتمايل في مهده جميع الاهواء .

ذلك الصوت المنبعث من أعماق الزمن ، يرتفع اليك رويداً رويداً ، فيخيل اليك انك تستمع الى نجواه ، وقد تلمس فيه هذه المعاناة الشاكية التي يزجيها القلب ، فتجد انها انسجمت انسجاماً رائعاً وما يرتفع من صدر الطبيعة من أصوات .

بغداد — نوري الراوي

قصة عائشة

بقلم لويزا ميهر

☆

كثيرون في مراكش هم الذين يقعدون في الساحات العامة او على ابواب المساجد والقصور القديمة ينشدون الشعر او يحكون القصص، ولهم مستمعوهم يصغون اليهم بانتباه او يتمايلون من الضحك، او تأخذهم هزة من الانفعال حسب ما تقتضي مراحل القصة من ضحك او بكاء.

وكان اشهر هؤلاء القصاصين، اعمى عجوزاً اعتاد ان يأخذ مكانه في ظل الكتبية الازرق، فاذا ما استوى في مجلسه التف حوله خلق كثير في حلقة تأخذ في الاتساع والكبر رويداً رويداً حتى تصبح اكبر الحلقات واكثرها عدداً.

لا ادري كم من المرات اثناء تجوالنا في انحاء المدينة الوردية اللون، رحنا نفترج بالحشد المنتظر وصول العجوز، وما ان تبدأ حرارة الشمس تميل الى الهبوط حتى يصل العجوز متكئاً على طفل صغير، جميل كالحب، فيفرش له الصبي على الارض بساطاً من القصب، يلقي بنفسه عليه بهدوء واتزان، لا ينبس بكلمة ولا يحرك ساكناً، فهو ليس بحاجة الى النقر على طبل صغير ليثير انتباه جمهوره المحتشد.

ومن ثم يبدأ الحشد بالانضمام الى بعضه فتضيق الحلقة، وتكتم الانفاس، وبعد قليل يخرج صوت العجوز من فيه متكلماً فتسري في الجمع المحتشد رعشة غريبة، ويرتسم على الوجوه السمراء او السوداء بريق غريب من لهب جديد.

فالتفت الى صديقنا المرافق وقلت له :

— ماذا يروي هذا الشيخ العجوز ؟ .

فهز رأسه وقال :

— يظهر انه يروي قصة بسيطة، قصة ذلك الشيخ الكبير عبدالله بن خالد مع عائشة الجميلة . ولكن . . .

— ولكن . . .

— اعتقد ان ليست القصة بحد ذاتها التي جعلتهم يرتعشون، ان عائشة هذه ما هي الا رمز التمرد على الطاغي، وحب الحرية . مالنا نخدع انفسنا ؟ انها موجة تغمر الشرق بأجمعه . هل تريدون سماع هذه القصة ؟ . . سأرويها لكم رغماً عن انه ينقصني الكثير من بلاغة العجوز الاعمى وشاعريته :



ترجمة مصطفى القصاص

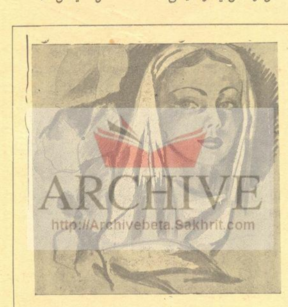
كان عبدالله بن خالد شيخاً ذا عزم وقوة، لم ينهزم يوماً في معركة كأنه ليث الصحراء، عزيزاً كالارزة في الجبل، يحكم اراضيه الواسعة من قصره الذي بناه على جبل الاطلس، واتخذه سكناً له وقلعة، فكان مركزاً من مراكز الغنى والرفاهية والقوة،

ويضم اليه نخبة مختارة من اجود الخيول التي تفوق العراق – الجواد السماوي – سرعة وجمالاً . اما عبيده ومواشيه وابله . فان عبدالله كان نفسه يجهل عددها .

كان جباراً لم يعرف الهزيمة قط في حروبه لخصومه العنداء . بل بالعكس كان لا يألو جهداً في سبيل توسيع رقعة ملكـه ، ولم الاسلاب والغنـائم لتنمية كنوزه . وجملة القول كان عبدالله بن خالد سعيداً في عيشته ، وملكه ، وبيته ، فقد رزق من امرأتيه اولاداً كثيرين كبر منهم ثلاثة وحازوا الاعجاب بذكائهم وجمالهم وقوتهم .

وذات يوم ، بينما كان عبدالله عائداً من مراكش في نفر لا يحصى من عبيده وخدامـه باغتته عاصفة هوجاء وسط النهار لم ير مثلها في حياته ابداً ، اظلمت الدنيا على اثرهـا وقصف الرعد قصفاً متواصلاً ، افزع الخيول حتى لم يعد باستطاعة الفرسان السيطرة عليها ، فهامت على وجهها في الصحراء .

ولأمر اراده الله الغي عبدالله نفسه وحيداً بـين الرمال والصخور فنزل عن حصانه وراح يبحث عن ملجأ يتقي به خطر العاصفة الى ان لمح عن بعد كهفاً مهجوراً ، فدخله . . . وراعه انه رأى في داخله امرأة تحمل بين ذراعيها حملاً وديعاً ، وكانت الظلمة قد بدأت تنقشع امامه شيئاً فشيئاً ، فراح يملأ ناظريه من جـمال هذه المرأة السافرة . . . حقاً انها جميلة كتلك الحوريات التي وعد الله بها عباده المتقين في جنته ، سوداء العينين كمياه بئر وسط الصحراء ، ناضرة الوجه كاللوزة الطازجة .



فتقدم منها وسألها وهو يرجف مما رأى :

– من انت ؟ .

– عـائشة . . . خرجت ابحث عن بعض الحملان ضل سبيله ففاجأتني العاصفة .

لم يسمع الشيخ في مـاضي ايامه صوتاً احلى واعذب وقعاً في الاذن من هذا الصوت الموسيقي الساحر ، فصرخ دهشاً .

– انت رائعة الجمال يا عائشة . فانفرجت اساريرهـا عن ابتسامة عذبة وابانت عن اسنان كاللؤلؤ النظيم في فم كأنه وردة لم يتكامل تفتحها مع الفجر الجميل ، وقالت :

– مولاي ! انظر ! هـا ان المطر قد انقطـع ، وأرى ثيابك تقطر ماء فهل تسمح لي بأن ادلك على « الدوار » حيث تجد ما تتمناه من دفء وشاي ، ان خيامنا يا مولاي وراء هذه الصخور .

وهمت بالخروج فاستوقفها الشيخ متضرعاً وهو يقول :

– هل تعلمين من انا ؟ . . .

انا عبد الله بن خالد . انا الجبار المنتصر العظيم . . عندي من القصور والعبيد والخيول والجمال عدد لا اكاد احصيه . عندي صناديق الارز ذات الرائحة الطيبة ملأى بالذهب . . . هي لك يا عائشة . هل تذهبين معي ؟ .

– انا . . اجابته عائشة بهدوء ، عندي الصحراء ، عنـدي السماء الفسيحـة الارجاء ، عندي نار الشمس المحرقة ، والنجوم اللامعة . . ، عندي الهواء النقي ورائحة الارض الطيبـة ومـيـاه السيول الجارية .

واسرعت تنادي رجال « الدوار » ليستقبلوا الشيخ عبدالله في احسن خيمة ، وفرشوا تحته البسط ذات الالوان الحية ، واحضروا له ثياباً جافة ومياهاً صافية عذبة . . وشاياً . وانهمكت النساء في تحضير « الكسكسون » بينما كان الرجال يذبحون خروفاً ليقدموه الى ضيفهم .

وفي هذه الاثناء كانت العاصفة قد هدأت واستطـاع خدام الشيخ ان يلاقوه في الدوار حيث عادوا قافلين الى قصر سيدهم .

اطمأن قلب الشيخ في قصره وما اطمأن ، لقد فارقته السعادة التي لازمته طيلة حياته فأن صورة تلك المخلوقة الجميلة التي صادفها في الكهف لا تفارق خياله ليل نهار ، وعندما كان يمر بباله عذوبة

وجهها وعينيها وابتساماتها وصورتها تغمر الدنيا في عينيه ويكاد يتميز من الغيظ .

واستيقظ من نومه ذات ليلة ونادى اليه عبيده واصدر اليهم اوامره الصارمة ، ولم يكد يطلع الفجر حتى كانت امرأتاه الشريفتان الجميلتان في طريقهما الى دار ذويهما ، والرسل ينتشرون في كل طريق على اسرع خيول عندهم يبحثون ويفتشون .

ولم يمض طويل وقت حتى وصلت قوافل من الجمال تحمل الطرود الكبيرة بينما كان العبيد منهمكين ليل نهار في تهيئة الغرف واعدادها اعداداً تاماً .

واخيراً تم كل شيء فأرسل خادميه المقربين للبحث عن سالبة لبه في الدوار وسرعان ما وجدوها وهي تستقي الماء من المجرى ، وبأسرع من لمح البصر خطفوها وعادوا بها الى سيدهم مسرعين فوجدوا الشيخ بانتظارهم امام الباب العالي ، وهو يرتدي افخر ثيابه التي تسحر الالباب وبإشارة منه صرف الخادمين وانحنى امام الفتاة الشابة مسلماً عليها قائلاً :

— لم تحل لي الحياة بدونك يا عائشة . آه لو تعلمين كيف قضيت تلك الايام ضجراً حزيناً بعيداً عنك ، لقد طلقت زوجتيّ لتحلي انت محلهما .. كل ما املك لك . لا تبخسي بكلمة . تعالي

واخذها من يدها وسار بها الى داخل القصر ماراً بالاورقة التي كسيت جوانبها بالريحان والورود . وكانت السقوف مصنوعة من شجر الارز تتدلى منها القناديل المرصعة ، والطنافس منسوجة من الحرير المحلى بخيوط الذهب ، عدا عن الكثير من السجاجيد التي تكسو الارض والجدران ، والاثاث الفاخر المرصع بالفضة وعروق اللؤلؤ والعاج والروائح العطرة التي لا تجد مثلها في كل بلاد العرب ، تنتشر في كل مكان وتعبق الارجاء ، وكان الخدم يخرجون من الصناديق الاقمشة الثمينة والاحجار الكريمة التي كان بريقها ينعكس على ايديهم السمراء مثل الوان قوس قزح .

وأولم في ذلك اليوم وليمة في صحاف من ذهب وكان الخدم يرفعون عنها اغطية القش لتكشف عن خرفان طبخت على مئة طريقة او تزيد تتخللها طباق الارز والزيتون والفطائر والتمر والعسل ، والى جانبهم كان الموسيقيون يوقعون على آلاتهم المختلفة الالحان المغربية العذبة ، وهنا التفتت عائشة الى الشيخ قائلة :

— هل سمعت اذناك اغنية اعذب من ايقاع الهواء وهو يتلاعب بسعف النخيل ؟ .

فما كان من الشيخ الا ان ازاح ستاراً كان الى جانبه وكشف عن حديقة لا يمكن ان يرى مثلها الا في الجنة التي وعد الله بها عباده الصالحين ، تجري فيها المياه متدفقة في اقنية مخططة تتفجر من احواض المرمر .

فهزت له برأسها وقالت :— هل رأيت نور الفجر وهو ينعكس على مياه الساقية ؟ .

وحانت منها التفاتة لترى الممرات المكسوة بالورود والياسمين ذات الالوان الصارخة تتلوى بين اشجار البرتقال والسرو ، وبين شجرات الليلاس والغرانيون ، بألوانها التي تشبه الدماء والياسمين ، المكسو بألف لون ولون . ثم زفرت قائلة بصوتها الموسيقي الساحر :

— كل هذا جميل ولكنه لا يبلغ روعة الصحراء عندما تكسوها الازهار .

فصرخ فيها الشيخ عبدالله :— هل تدرين يا عائشة كم تساوي هذه اللآلئ والجواهر .

فأجابته ببرود :

— لا شيء اثمن من الحرية ! .

— ولكن ... انت عندي هنا اثمن درة ، انا لن افرط فيك ابداً .

فالتفت الفتاة البرية بأرديتها ثم اجابته ببساطة . — انت انتزعتني من اهلي يا سيدي ، يمكنك ان تسجنني في قصرك ويمكنك ان تمتلك جسدي ، واما نفسي وقلبي فلن يكونا لك ابداً .

فرفع يديه وقال :

— كل ميسر لما قدر له ، وقد قدر لي ان لا تحبيني ، الا ليهبك الرحمان كل سعادة العالم وهناءته . وامر بارجاع الفتاة الى اهلها .

ومنذ ذلك اليوم انعزل عبد الله في قصره في جبال الاطلس . يقضي نهاره بالتفكير والصلاة ، وتلاوة القرآن او نظم القصائد في حديقته التي لا يسمح لاحد بدخولها ، وهو يردد آلاف المرات اسم محبوبته عائشة ... يا عائشة ! ...

وحانت نهاية مقامنا في مراكش فلم نشأ ونحن نغادرها الا ان نلقي نظرة اخيرة على الاعمى العجوز ، فرأيناه جالساً كعادته وحوله جمهوره المحتشد اليقظ ، وما كاد ينتهي من قصته حتى قام بدوي من صفوف الحلقة الاولى ملتفاً بجلابيته الفضفاضة يشق الصفوف ، متمتماً بين شفتيه بكلمات لم نتبينها ، فلجأنا ثانية الى صديقنا المرافق نسأله عما يقول هذا البدوي ، فأجاب .

— انه يردد كلمات عائشة : لا شيء اثمن من الحرية .

مصطفى القصاص

من اغاريد الحب

للشاعرة سارة تيسديل

☆

الصبح

أنطلقت في صبح من أصباح نيسان
وحدي، فقد كان فؤادي شامخاً ، فخوراً ،
كنت طفلة المراعي المشرقة
وأخت السماء .

هناك في فيض من رياح الصبح
رفع الشوق أعباءه عني ،
وضاع مثلما يضيع البكاء وسط الحبور
واختال كطائر البحر المنطلق نحو البحار .

ليلة شتاء

انّ لوح نافذتي يغطيه الصقيع
والدنيا ، الليلة ، قارسة البرد ،
القمر يبدو شاحباً ،
والريح كسيف مسلول، مرهف الحدين .

ليرحم الله كل من لا دار له
هؤلاء الفقراء السائرين جيئة وذهوباً ،
ليرحم الله، الليلة ، كل مسكين
يسير في الطرق المجلودة ،
التي تضيئها المصابيح .

إنّ غرفتي مثل قطعة من حزيران
دافئة ، ذات ستائر كثيرة،
ولكن . . في مكان ما ، مثل طفل شريد
يصرخ قلبي ، وسط البرد .

الجذوات

قلتُ : « ان شبابي قد ولّى
مثل نار أخمدها وابل من المطر
فلن يتحرك منها لهب ، ولن تترنم
أو تلاعب النسيم مرة ثانية » .

قلت : « ان ما أطفأ فيّ شبابي
لم يكن هماً عظيماً أصاب قلبي ،
بل كان حشداً من الاحزان الخفيفة
التي ظلت تنوبني باستمرار . . . »

خلتُ شبابي قد ولّى . .
ولكنك عدتَ اليّ .
فاذا به مثل لهب هتفت به الريح
فوثب ناشطاً ، وتألق وضيئاً ،
ثم ألقى عنه بعباءته الدردارية ،
وارتدى ثوباً جديداً ،
وأقبل عليك إقبال عروس فاتنة ،
ووهبك نفسه ، مرة ثانية . . .

انا لست لك

أنا لستُ لكَ ، ولست ضائعة فيك
وان كنت أحن الى الضياع
كما يضيع شعاع القنديل في الظهر
وذرات الثلج في اليمّ .

أنت تهواني ، وما زلتُ أراك
روحاً جميلة ، متألقة
أنا التي تحنّ الى الضياع
مثلما يضيع النور في النور

آه ، اغمرني في أعماق الحب —
اخمد حواسي ، ودعني صماء ، عمياء ،
يجرفها إعصار حبك
كشمعة في ريح عاصفة .

بعد الحب

لا سحر بعد اليوم . .
فنحن نلتقي مثلما يلتقي سوانا من الناس ،
أنت ما عدت تسحرني
ولا أنا !

قد كنت أنت الريح ، وكنت انا البحر —
ولكن لا بهاء اليوم ،
فقد بتُّ هادئة هدوء البحيرة
عند الشاطىء . . .

ولكن البحيرة ، وإن نجت من العاصفة
وتخلصت من المد والجزر ،
قد غدت أمرّ من البحر ،
وأربت مرارتها على كل ما تملكه من سلام .

انشودة كولن

أنشدت أنشودة ، عند الغسق
تحت نجم المساء ،
فترك (تيرنس) آخر قوافيه
وهتف يحييني من بعيد . .

أما (بيبو) فقد ترك عوده ، ليبكي ،
وقال متحسراً « انها تغنيني » .
لكن (كولن) استغرق في رقاد عميق
تحت شجرة من أشجار التفاح .

البصرة　　رزوق فرج رزوق

منزلة الشعر بين الفنون

بقلم ابراهيم العريض

☆

٥ — اللون في الشعر

لقد تناولنا العناصر الثلاثة التي يعتمد عليها الشعر في تكوينه بالتحليل . وبقي ان نكمل البحث بكلمة في هذا العنصر الاخير — اللون .

ونحن لا نستهدف من وراء هذه الكلمة ان نشرح خصائص قوس قزح كلها . وانما الذي يعنينا — مبدئياً — ان نقرر هو ان اللون في الحياة يقوم بدور لا يستهان به . فان ما ينشئه من اثر في الناظرين هو — كما يظهر — المتعة الوحيدة التي تنفرد بها حاسة البصر دون الحواس الاخرى . . . حقّ للعين ان تزهو بهـا على اخواتها . وان يفسح القلب للتعبير عنها مجالاً بين الفنون يضطلع به فن التصوير بريشته .

فاذا جاوزنا الحياة نفسها الى عالم الاحياء شاهدنا في الطبيعة — أولاً — ان بعض الحشرات لا تميز الازهار الا بالوانها . فاذا كانت عامة الحشرات تتخذ المطور دائماً وسيانها الى الازهار . فان فئة منها لا تنجذب — جنسياً — الى هذه الازهار الآبآية ما تتشح به من حلل ملونة . ولا يفوتنا ان نلاحظ في مراكز الصناعــة — مقابل ذلك — ان ما يحيط بالعامل من اشكال والوان الحيطان والمحركات له اثره المحسوس على نفسية العامل وانتاج عمله . فكأن بعض هذه الالوان تتساوق مع النفس وتؤدي الى انشراحها . بينما يبعث بعضها الآخر في النفس شعوراً دائماً بالانقباض والاعياء .

هذا هو اثر اللون في الحياة . وحسبنا شاهداً ما لحمرة الورد او التفاح مثلًا من اثر بالغ تجاوز الطبيعة الى الادب حتى اصبح فيهما — خاصة — مضرب الامثال . انظر الى قول ديك الجن :

مشعشعة . . من كف ظبي، كأنما   تناولهـا من خده فأدارهـا

او قول علي بن الجهم :

عشية حياني بورد كأنــه   خدود أضيفت بعضهنّ الى بعض

او قول ابي الطيّب :

حيث التقى خدها وتفاح لبنا   ن وثغري عــلى حمياهــا

أوه منك يا لبنان ! .

فاذا كان للون هذه الصلة بالاحساس ظاهراً وباطناً . فلا غرابة اذا حاول الشعر ايضاً ان يستعين بعنصر اللون — محاكاة للطبيعة — على احداث نفس الاثر . غير ان الشعر — كما قلنا — لا وسيلة له في هذا المجال غير الالفاظ . . . فهي التي يستعين بها وحدها على الرمز الى الالوان . فكيف يبلغ الشعر غرضه منها .

هنا ظاهرة يجب ان لا نهملها . فكما ان اللون في الطبيعــة — لسر نجهله — يثير احساساً بعينه . على اختــلاف هذه الالوان وتنوعها . فان تولد هذا الاحساس بالذات عن طريق آخر غير اللون — كالنغم مثلاً — يعود بالنفس الى طيف اللون من جديد ويحرك فيها ما يوجّه هذا اللون من ظلال . اي ان رد الفعل بين اللون والاحساس يصح طرداً وعكساً . فكأن النفس البشرية — بذلك — تسبغ على الاشياء الوانها احياناً وان هي لم ترها ملونة رأي العين . تأمل

مثلاً قول الاخطل الصغير في رثاء المطربة اسمهان :

هل الغنـاء اذا جرّحت آهته … سوى عصارة أكباد لأكباد
كأنه موجـة بيضـاء ناعمة … يمشي الشراع بها في بحره الهادي

لتتجلى هذه الحقيقة بوضوح .

ولعل هذه الظاهرة تبرز عياناً في وصف العميان من الادباء فانهم يتخذون هذا التجاوب القائم بين اللون والاحساس ذريعة لتصوير احاسيس بلغة الالوان احياناً . . . وبالعكس . ولا داعي الى ان نجاوز عصرنا للعثور على امثلة . فأمامنا هذا الشاهد المنثور . ولا اخالني في حاجة الى ان ازيدك تعريفاً بكاتبه النابغة . فأسلوبه ينمّ عليه . . . لعلة ظاهرة .

« لم يكد يبلغ باب الغرفة ويتبين شخصي ماثلاً في وسطها وعلى وجهه ابتسامة شاحبة كأنها ابتسامة الاشباح حتى اخذه شيء من الذعر فتراجع خطوات ثم قال في صوت ابيض جعل يأخذ لونه الطبيعي قليلاً قليلاً : ماذا ؟ ألا تزالين ساهرة الى الآن ؟ . . . »

وفي الحق ان طه حسين مثال حي للظاهرة هذه في كتّاب العصر . وان آثاره الادبية لتزخر بالشواهد النثرية من هذا النوع

ونستطيع ان نقول ان هذا ما يحصل في الشعر بالفعل كلما نزع الى الوصف والتصوير . اما بين الشعراء انفسهم فليس ثمة من ينفرد بهذه الظاهرة وحده . الا انهم في هذه – كما في غيرها – على درجات . ولعل عصرنا يمتاز بطابعه على العصور السالفة في هذا الشأن . اليك على سبيل المثال قطعة لخليل مردم تصف امرأة من قصيدة له طويلة تزخر بالالوان :

تركت من حاجبيهـا أثرا … مرهفاً ، والسيف ان دقّ مضى
وعلى أجفانها – من كحلها – … ظلمة ، من بينها النجم أضـا
انمـا الحمرة في مبسمهـا … قبلة حرّى ، حكت جمر الغضا
في يديهـا ، وعلى أقدامهـا … مهج سالت ، ودمع غيضـا
أرأيت العـاج قد قمـه … وهج الياقوت . . او شمعاً مضاء ؟

رفّ طير الحلي في لبتهـا
يبتغي في صدرها ركناً مريحاً
عشيت مرآتها من طول مـا
قابلت من وجهها برقاً مليحا

حقاً انه على جماله اصدق وصف – مرّبي – في المرأة المتحضرة .

ومن هنا يستعير الشعراء الصفات الحسية لموصوفات معنوية . ويجعلونها تتصرف في حلك الليل او وضح النهار تصرّف الاحياء كما يتخذون من صفات الضوء – وهو السبب الاول في حدوث الالوان – وسيلة في مختلف اطيافه لبثّ احاسيس قد يتعذر على الشاعر تناولها بالوصف – في الشعر – عن غير هذا السبيل . وربما تهرجت الطبيعة لتمدّهم – في كامل زينتها – بالالوان . وقد كنا اشرنا الى شيء من هذا عند الكلام عن الصور الخيالية . ولكننا الآن في صدد تعليل ما يتخايل فيه الشعر من أجواء .

فها هنا قطعتان نوردهما على سبيل المقارنة لشاعر عرف بعبادة الجمال . يقول الحوماني في احداهما :

قرأتك في الافق حتى جرت … سبائكه في جيوب السحر
وحتى تدفق من جـانبيه … ضباب على الارض غطى الشجر
وأوقد في ذروات الغصون … قناديل يزلق عنها البصر
تنوّع فيهن لون الحيـاة … افانين تحمـل شتى الصور
تلمست روحك في افقهـا … وروحك في الافق وحي القمر
فكانت من الزهر هذا العبير … ومن ذروة الغصن ذاك الثمر

ويقول في الثانية :

مـا تمرين بآمـا … لي في الروض حيارى
يترامين عـلى الزه … ر كبـاراً وصغارا
ويساجـن دواليـ … ـك على الدوح الجزارا
ويعانقن متى شئـ … ـن شقيقاً وبهارا
واذا ألبسهـا من … لونه الزهر ازارا
وسقاها من سقيط الـ … ـطلّ شهداً وعقارا
فبدت الوانها الزهـ … ـر لجيناً ونضارا
ومضت تختال من غصـ … ـن الى غصن سكارى
تتبدى فوقه طو … راً وطوراً تتوارى
خلتها في افق الرو … ض فراشاً يتبارى

ألا ترى – معي ان هذه تندى بأنفاس الصبح . بينما تلك تتلمام بأذيال الليل . وهل ذلك الا لأن الشاعر فيهما ينظر الى «الحس» من زاويتين .

وهكذا يستبيح الفن – بالالتفات الى العناصر الثلاثة التي تقوّم الشعر – ان يغمس ريشته في الصفة الغـالبة . فيضفي على المقطوعة من الالوان ما يعلق به من كآبة المساء او اشراق الصباح . فاذا كان التأليف بين عنـاصر الشعر قد حصل على اللون الذي يتناسب ومقتضى الحال . فان اندماجها معاً – في ذلك اللون – يهيب – لا محالة – الى خلق الجو الشعري الملائم . ويوفي بالفن الى غايته ، حيث تتبلور القطعة لاداء رسالتها تماماً .

ويتبين من هذا ان اللون الذي ننشده ليس هو في حقيقة امره – على تنوع اطيافه – الا ما تلقيه على الشعر عناصره المنصهرة من ظل يشيع في النفس جوها الطبيعي ويعديها به . اما كيف يتم للشاعر تركيب مواده وصهرها فشيء يرجع الى طبيعة الشاعر نفسه . وغاية ما بلغه العقل البشري – بعد ان ضل في التيه السبيل – هو القول

بأنه « إلهام » .

وهذا يؤدي بنا – في خاتمه المطاف – الى ما يسمونه بالوحدة الفنية . وهي التي تلتزم كافة الفنون تحقيقها عموماً . ويحاول الشعر – كفن – ان يظفر بهـا على وجه الخصوص . ولكن قبل ان نستعجل اليها الطريق لا مندوحة هنا عن سوق بعض الامثلة على اللون واثرة في الشعر .

فمن المقطوعات التى يتساوق اللون فيها مع جوّها الكئيب القاتم قول ابراهيم ناجي :

مهلًا فتاة «الدير» والحسن الذي   تصبو له مهج العباد جميعـا
الحسن من حق الورى . . وحملته   مستخفياً متأبيـاً ممنوعـا
في الدير مثواه . . وفي جنح الدجى   يتحدّر الحسن الشهيد دموعا
يا مؤنس الدنيا فديتك موحشاً   تهتاج وجداً او تضيق ضلوعا
تتحرق الدنيا عليك ، وربما   أوقدت نفسك في الظلام شموعا!

وهـل أدل من ذكر الظلام والشموع والحسن الشهيد في وصف راهبة ؟ .

ومن المقطوعات التي يتساوق اللون فيها مع جوها الطبيعي الفاتن قول شفيق معلوف :

ربّة الشعر عـلى ضفته   نحذت صفصافة الغور مظلّه
غلغلت فيها ، وهذا شعرها   علقت في كل غصن منه خصله
والروابي . . خلع الفجر على   منكبيها الشعل الحمراء حله
شرب النهر لظاهـا بارداً   وسقى ابناءه في المـاء شعله

وهل اجمل من الاشارة الى صفصافة الغور وخلعة الفجر على الروابي والشراب في تصوير زحلة ؟ .

ومن المقطوعات التي يتساوق فيهـا اللون مع جوها الشتوي المرعش قول صلاح الاسير :

حلم الورد بالصباح ، وجنّ ا   لغصن شوقاً لزقزقات الطيور
يرقب العاصف السخي من الرعـ   ـد ترامى على يد الزمهرير
وروى النور هوّمت في الروابي   تمهل الفجر في الفم المقرور
أتعبتها الرياح ، اتعبها البر   د ، فلاحت مزرورقات الثغور!

وهل اقوى دلالة من الرياح والفم المقرور والورد الحالم على الفترة التي تسبق يقظة الربيع ؟ .

وعلى ضوء هذا البيان ندرك علة ما يتعثر فيه الشعر من سقم واضطراب . فالنقيصة في الشعر – من حيث هو فن – لا ينشأ الا من كون الشاعر يعجز عن الملائمة بين جوهر القطعة وجوها . وذلك لعدم التناسق والانسجام بين عناصرها المختلفة في صفة الجمال . وانما يحدث هذا حيث لا تتساوق الصور الخيالية في القطعة مع الحـالة النفسية فيها . . . او حيث لا تتساوق الموسيقى اللفظية مع لونها العاطفي . فتبقى المعـاني فطيرة لا تتبلور في النظم على الوجه المنشود . ونكتفي هنـا بهذا المثال شاهداً من ديوان « اشعة ملونة » .

يريني الضيا أشياء عني غريبة   تشوّش افكاري وتكثر بلبالي
فدعني أقضّي كل دهري بظلمة   لاخلو لأفكاري بها ولآمالي

فمرجع كل ذلك الى صدق الشعور .

٦ – الوحدة الفنية

عني هذه الساعة كنّا نتناول عنـاصر الشعر من موسيقى وعاطفة وخيال – مضافاً اليها اللون – على انفراد ، كأن كل عنصر منها قائم بذاته . . بغية التحليل . فكنا نقتصر من الشعر على محلّ الشاهد فقط . ونورد الشواهد على ما يوضح الفكرة في قطع – احياناً – ومقطوعات تفي بغرضنـا . دون ان ننظر الى القصيدة التي نقتبس جزءاً منها كأنها كل ، او ندقق اذا كان الشاعر قد وفق الى تحقيق الوحدة فيها باعتبارها هيكلًا ذا روح .

وقلنا ان الاخلال في الشعر – من حيث هو فن – لا يقع الا من كون الشاعر – لسبب خاص به – يعجز عن الملائمة بين جوهر القطعة وجوها . فلو تمّ التناسق والانسجام بين عنـاصر الشعر المختلفة في صفة الجمال . بحيث تتساوق الصور الخيالية في القصيدة الواحدة – على طول – مع الحالة النفسية فيهـا . . . تساوق الموسيقى اللفظية فيها مع لونها العاطفي . لجاءت المعاني متبلورة على الوجه الاتم . كما نجد مثـاله في هذه المقطوعة الجميلة لفؤاد الدين الخطيب . حيث يقول .

هات الدموع وحسبي في البلاء بها   ان الدموع يد لله بيضـاء
فالغيث يوم تكون الارض مجدبة   كالدمع يوم تمسّ النفس ضراء
سل التراب فكم في طيّه اختبأت   عين يحدثنا عن دمعها المـاء
وما الخرير سوى شجو يغصّ به   كما تغص بشجو البين خرساء
ما انفك متصل الاسباب منسجماً   في الارض منذ بكت في الارض حواء
اني لأسمع في الابريق غمغمة   فانظر فهل فيه عن ماضيه أنباء
لعله كان قلباً – سال من شجن   لعاشق – فيه أوطار وأهواء

فيلاحظ هنا كيف تبلورت القطعة – بدافع الحس – حول معنى شعوري واحد هو تهدير الدموع .

فالتساوق والانسجام في القصيدة جملة – لا في ابيات لها هنـا او هناك – هو الذي يضفي على القصيدة صفة الوحدة الفنية . ويؤهل الشعر الى ان يتبوأ عرشه بين الفنون . اذ كانت هذه الوحدة لزاماً على

كافة الفنون تحقيقها بوجه عام . ولا يصبح الشعر فناً الا اذا ظفر بها على وجه الخصوص .

ان القصيدة كأثر فني صورة منتزعة من الحياة محددة بأطار . ولذلك فالجامع الذي يجمع بين ابياتها يجب ان يتوحد في كل شيء على نحو ما ينبض فيها من صدق الشعور : فكما ان « الصورة » الفنية يشترط في اجزائها اولاً الا تختلف في الزاوية التي تلحظ منها او الجو الذي يخيم عليها حتى يتم لها التساوق والانسجام . وثانياً ان تعرض كيانها كاملاً ضمن اطارها المحدود . وان كانت منظراً مقتطعاً من الطبيعة التي لا تحد . فكذلك « القصيدة » يشترط في ابياتها اولاً الا تضطرب في الحالة النفسية التي تنبعث عنها او الجو الذي يناسب هذه الحالة – سواء كان مصدره ظل موسيقاها اللفظية او صورها الخيالية – حتى تحتفظ بتوازنها . وثانياً ان تعرض وجودها كاملاً ضمن اطارها المحدود . وان كانت جزءاً مقتطعاً من الحياة التي لا تنتهي .

والواقع ان اضطراب الصور في الشعر منشأه – دائماً – عدم تساوقها مع حالة نفسية واحدة . وان اتسمت بسمة الصدق احياناً كما ان اختلالها – من الناحية الفنية – هو الذي يقصر بها ان تبدأ من حيث ينبغي لها ان تبتدىء او تقف عند الحد الذي تنتهي اليه اذ كان ذاك – خالصاً – هو عمل الفنان .

وايضاً فان العمل الفني في الشعر لا يقتصر على البدء من حيث ينبغي ان نبدأ او الوقوف عند الحد الذي يجب ان ننتهي اليه فحسب . بل يتجاوزهما الي المحافظة – فيما بين ذلك – على اتساق المعاني على حالة نفسية واحدة . هي التي كانت المحرك الاول للشعور على نظمها . ثم طرح كل ما من شأنه ان يخل بهذا الاتساق في ايراد المعاني او تشويش ذاك الانسجام في الفاظها غب الفراغ من نظمها . حتى يفضي الامر بالقصيدة الى الوحدة الكاملة . وقد فطن نقاد العرب منذ القديم الى هذه الظاهرة في النبذ والاختيار حتى قالوا :

قد عرفناك باختيارك اذ كا　　ن دليلاً على اللبيب اختياره

على ان هذه الوحدة لا تتوقف مطلقاً على طول القصيدة او قصرها . فرب مقطوعة استوفت في بضعة ابيات ما لا تنهض به قصائد بكاملها . كالقطعة التالية لعمر ابو ريشة تحت عنوان تعزية قاتلة :

أما الصبا فلقد مرّت لياليه　　فابكيه يا عفة الجلباب فابكيه
ملكت قلبك عن ورد الهوى زمناً　　واليوم ورد الهوى غيضت سواقيه .
بالامس ان جئت أبدي ما اكابده　　لويت جيدك عمّا جئت أبديه
وما رثيت لدمع كنت أذرفه　　ولا عطفت على جرح اعانيه
واليوم جئتك لا صباً ولا كلفاً　　بل للجمال الذي يذوي . أعزيه!

ومما يؤسف له ان الوحدة الفنية بهذا المعنى المفهوم لم تكن معروفة لدى اسلافنا . وان لم تخل اشعارهم من نماذجها . كما نعثر عليه في شعر ابن الرومي وابي نواس . ولعلها لم تتحقق على الوجه الاكمل – حتى في عصرنا هذا – الا في شعر افراد معدودين لعل في طليعتهم ايليا ابو ماضي وعمر ابو ريشة . واكبر ما يعيب الشعر العربي الحديث اذا استعرضنا الدواوين التي تنوء بها الرفوف هو طابع التقليد الذي ظل الشعر العربي يحمله في كافة عصوره . وخلوه – الا في آثار خاص ابنائه – من صدق الشعور .

على ان النماذج الموحدة التي تمر بنا – في هذا العصر – للشعر في تساوق معانيه – من الفها الى يائها – مع حالة نفسية واحدة ، وانسجام ما ينتظم بينها من الفاظها . لا يترك لنا عذراً في عدم الاستشهاد ببعض آياته الخالدة .

فمن هذه الآيات قول خليل هنداوي في جبانة تحت العنوان الرمزي « الاتصال » :

ورابية قد تسامت هناك　　مؤلفة من ركام البشر
أتعرفهم في زوايا اللحود ؟　　أتنظرهم في طوايا الحفر ؟
وقد سحب الدهر ذيل العفاء　　عليهم .. فما لهم من أثر
أتنشق في الترب ريح الرفات　　وتبصر فيها طيوف الصور ؟
وهنا قر كل فؤاد خفوق　　هنا أغمضت مقل كالزهر
تروّح ثرى من طواه الزمان　　وفاح عليه شذا من غبر
كأني أشمّ بجسمي التراب　　ولحم الاحياء تحت الحجر
مدارج تخنق فيها الحياة　　وتغفو على منحناها الذكر

هل تذكر دالية المعري ؟ ومع هذا فعلى كثرة ما نظمه الشعراء في القبور ، لا اذكر اني تلوت قطعة ابعث على اليأس واحفل بالعبر من هذه اليتيمة .. على صغرها . فانها توقف القارىء امام الموت نفسه في وسط ما يحف به من خلال .

ومن هذه الآيات قول عبد الرحمن صدقي يرثي زوجته :

كان لي في اخريات الـ　　عمر بيت . فعدمته
سنوات اربع ، ام　　كان ذا حلماً حلمته
ليته طال ، ولو طا　　ل لما كنت سئمته
زوجتي صنوي ، وما لي　　غيرها صنو علمته
هي لم تنقم – على نقـ　　صي – ولا شيء نقمته
همها همي ، فلا تطـ　　عم الا ما طعمته
هدّنا الدرس ، وما تفـ　　همه منه فهمته
نظّمت بالعطف والتفـ　　كير عيشي ونظمته

شرود

✩

كتبتُ اسمكَ على وريقات خضر .
أتى الخريف، فهبّت أنفاسه الشفيفة ،
اصفرّت الشجرة
فانهالت وريقاتها تتراقص في الفضاء .

***

كتبت اسمكَ في السماء ،
أتى الشتاء رافلاً ،
فذوّبتك الغيوم ..
فغرتُ ثغري علّني أحظى
برشّة من اسمك .
ضحكت الارض مني ... فانزويت .

***

كتبت اسمك على جدران غرفتي
خوفاً عليك من الخريف والشتاء ،
فانقضّت عليك صاعقة ..
ذهبتَ هباء ...

***

كتبت اسمك ببذور الاقحوان ،
نمَت بزهو ...
مرّت شاة أكول طروب
فمحتكَ عني

***

ثم سجدتُ أسأل الله ،
فقال : اكتبي اسمي في قلبك .

ثريا ملحس

وارتضينا من لقانا   عوضاً عما حرمته
برهة ... وانتبه الدهـ   ـر فعفّى ما رسمته
اترى الرضوان ذنباً   أثمته وأثمته ؟
أحرام ان سعدنا ؟   ام خيال ما زعمته ؟
كل ما اعرف .. اني   كان لي بيت ، عدمته !!

واشهد الله اني لم تمر بي في الدمع المكبوت قطعة اشد من هذه وقعاً في النفس واثارة للدمع .

ومن هذه الآيات قول عمر ابو ريشة يصف الآثار الدارسة :

قفي قدمي .. ان هذا المكان   يغيب به المرء عن حسه
رمال وأنقاض صرح هوت   أعاليه تبحث عن أسّه
اقلب طرفي به ذاهلا   واسأل روحي عن امسه
اكانت تسيل عليه الحياة   وتغفو الجفون على انسه
وتشدو البلابل في سعده   وتجري المقادير في نحسه
أأستنطق الصخر عن ناحتيه   واستنهض الميت من رمسه
حوافر خيل الزمان المشتّ   فتكاد تحدثّ عن بؤسه
فما يطمع الشوك في تربه   ولا يرغب البوم في مسّه
وتهجر اوكارها العنكبوت   وترجو التخلص من حبسه
لقد تعبت منه كفّ الدمار   وباتت تخاف اذى لمسه
هنا ينفض الوهم اشباحه   وينتحر الموت من يأسه !!

فلا أظن اني قرأت في الطلل قطعة اروع منها . ولا استثني احداً .. حتى البحتري في سينيته . ولا عجب فقد وصل فيها الشاعر ذروة فنه . فهي خير قصائده على الاطلاق .

واخيراً من هذه الآيات قول رشدي معلوف في الامهات .

ربي ! سألتك باسمهنّه   ان تفرش الدنيا لهنّه
بالورد، ان سمحت يدا   ك ، وبالبنفسج بعدهنّه
حب الحياة بمنّتين   وحبهن بغير منّه
غشي على اجفانه   ن ، وختدي بقلوبهنه
فردوسهنّ وبؤسه   ن ببسمة منّاً وانّه
مهارنا في غربة الـ   ـدنيا وصفوة كل جنه
ربي ! سألتك رحمة   وجه السماء وجههنه
امنتهنّ على الحياة   وكنت في احشائهنه
وتركتَ من خفقات قلـ   ـبك خفقة في صدرهنه
فامسح بأغلك الجراح   وورد اطراف الأسنة
لتطلّ شمسك في الصبا   ح وكل ام مطمئنة !

انها صلاة صادرة من قلب . يشترك فيها كل ابن يحب امه . واما والاراضي المقدسة تشخص اليها بحسرة عيون الامهات هذا الصباح . فلنختم بها - كالمسك - ما طاب انشاده من بدائع الآثار .

البحرين   ابراهيم العريض



الاهات الشعر عند اليونان والرومان

بقلم فؤاد عازار

☆

كان اليونان والرومان في جاهليتهم يعتقدون بوجود الاهات متعددات، هن ربات الفنون الجميلة، ومصدر الوحي والالهام في كل شأن من شؤونهم. وكانوا ورعين في عبادتهم، مخلصين في معتقدهم، يجنحون الى التماس عونهن في كل عمل خطير. وكان شاعرهم يستمد المعونة من ربة الشعر، لتبث فيه روح النظم والانشاد، ويزيد على ذلك بان يجعلها هي المنشدة، فكأنها هى صاحبة الفضل، وهو انما كان ناقلاً يملي على الملأ ما يتلقنه من فيض روحها.

ونكاد لا نجد في تاريخ الاساطير جميعه قصة معقدة كقصة الالاهات. وقد اختلف المؤرخون القدماء في اصلهن، وعددهن، واسمائهن، وصفاتهن. وقديماً لم يعرف منهن الا ثلاث، هن: منيمه ومعناها الذاكرة، ومبليت ومعناها التأمل، وأوده ومعناها الغناء. ولم تكن الالاهات الثلاث الا اشخاصاً تمثل العناصر الثلاثة التي تؤلف القصيدة، وهي: الذاكرة، والتأمل، والغناء.

وقد احصى الخطيب الروماني شيشرون تسع الاهات، هن كليو وهي ربة التاريخ، وموطنها المريخ. وثاليا وهي ربة المهزلة، وموطنها القمر. واوتيرب وهي ربة الموسيقى، وروح عطارد. وملبومين وهي ربة المأساة، وروح الشمس. وترپسيخور وهي ربة الرقص، وموطنها المشتري. وبوليمني وهي ربة الموسيقى والشعر الغنائي، وموطنها زحل. وأوراتو وهي ربة الشعر الغزلي، وروح الزهرة. وكاليوب وهي ربة البيان والشعر الحماسي، وموطنها الارض. واورانيا وهي ربة علم الهيئة، وموطنها كل القبة الزرقاء. وكان جوبيتر، كبير الآلهة، اباهن، ومنيموزين امهن. اما كون هذه امهن فلأن الذاكرة في الواقع تقدم للشاعر موضوع كل قصيدة. وكانت كل الاهة تحمل آلة الفن او العلم الذي تتولاه وتديره.

وكان الشاعر اللاتيني فارون يعتد بذلك الثالوث الاولي لهن. وقد شرح لنا اصل العدد تسعة الذي استعمل لهن بعدئذ، فقال: «ان اهل مدينة سيسيون اوعزوا الى ثلاثة مثالين ان يصنع كل منهن ثلاثة تماثيل للالاهات الثلاث، لتوضع في معبد افلون، واتفقوا على ان يشتروا من بين التماثيل التسعة ثلاثة فقط نير ان المثالين، على الرغم من تصوراتهم المختلفة، قد نجحوا في جميعها نجاحاً باهراً. فعلى اي التماثيل الثلاثة وقع الاختيار؟ وقد زالت تلك الصعوبة بان اشترى اهل تلك المدينة التماثيل التسعة. جميعها ومكان الالاهات الثلاث وجد تسع في معبد افلون.».

وزعم الشاعر اليوناني هيزيود ان مولدهن في أفيريا، وهي بلاد بجوار جبل الاولمب. وهن اللواتي يلهمن المغني او الشاعر عندما يأخذ قيثاره لينشد مجد الابطال. ولهذا كان الشعراء يدعون ابناء الالاهات

اما الذين ارادوا ان يجعلوا منهن الاهات كاملات، فانهم انفسهم يشكون في صحة فضائلهن، ولا سيما في امر طهارتهن.

وقد كن في البدء مضطهدات ، واصبحن مدار حب جامح كن ينتهين غالباً الى التخلص منه . ولكن لم يستطعن ان يحتفظن بطهارتهن طويلاً ، اذ ما كدن يهربن من بيرنيه ملك دوليسيا الذي اراد ان ينتهك حرمتهن ، بان علقن على انفسهن اجنحة ليهربن من القصر الذي كان هذا الملك قد اسرهن فيه ، حتى انتهى الامر بهن الى الخضوع لمشيئة عشاق توسمن فيهم الرفق والمحبة .

وقد ذهب الفيلسوف اليوناني فيثاغور الى ان الروح التي تسوس كل طفل عند مولده، وترافقه طوال حياته، كانت تهبط من كوكب تقطن فيه احدى الالاهات . ومن هنا، يقول هذا الفيلسوف، تتكون طبيعة الطفل وموهبة الرجل . وهذا الزعم يتفق ورأي ارسطو القائل ان كل واحدة من الالاهات تعيش في سيارة من السيارات .

ويرى المؤرخ الالماني كروتزر ان اصل الالاهات عند الاغريق يعود الى انهم كانوا يعزون الى عنصر الماء صفة الهامية : فكل بنات الماء في زعمهم الاهات . وكانوا ، على الاصح ، يعدون كل الجنيات الحارسات للينابيع النبوية الاهات . ويقول : « لما كان لكل بقعة من بلاد الاغريق منجمون ، وعرافون ، ومغاور ، وينابيع سرية ، كان لها ايضاً ربات للشعر ، واعني بنات ماء ملهمات ، وذات قدرة على الغناء . وكانت أرقادية ، وهي بلاد الجبال والمياه ، تعتبر نفسها موطناً للالاهات ، وربيبة لهن . » .

ويقول هوميروس في إلياذته ان الالاهات كن يقطن في جبل الاولمب ، ويطربن الآلهة باناشيدهن تحت قيادة الاله الاكبر افلون . وكن يلهمن الشاعر الحماسي ، ويذكرن له المآثر التي يروم انشادها ، ويُفضن على كلامه السحر والعذوبة .

وقد تحدث جميع الشعراء في جاهلية اليونان والرومان عن ربات الشعر ، ومعظمهم قد استدعوهن في منظوماتهم ، والتمسوا عونهن . وانشد الشاعر الضرير في مطلع الياذته :

ربة الشعر عن أخيل بن فيلا   انشدينا ، واروي احتداماً وبيلا

وحذا حذو هوميروس سائر الشعراء ، ولا سيما في مطولات ملحماتهم ، كقول فرجيليوس كبير شعراء اللاتين :

Musa, mihi causas memora...

ولما انتشرت النصرانية في البلاد الاوربية ، وانصرف اهلها الى عبادة اله واحد ؛ هو رب الشعر والشعراء ، وكل معقول ومحسوس ، لم يبق لربات الاغاني والاناشيد محل في عقيدتهم . ومع ذلك فان فريقاً منهم ظل يستمد عونهن على سبيل الاستعارة . فكان شاعرهم كأنما يستمد صفة من صفات الباري عز وجل ، الا وهي فيض الغوث الالهي . وعلى ذلك قال تاسو في فاتحة منظومته « اورشليم المحررة » :

O Musa, tu spira al petto mio celesti ardori ...

وقال ملتن الشاعر الانكليزي في « الفردوس الغابر » :

. . Sing heaveuly muse فاستنشدا ربة الاغاني ، وعرفاها بالمنشدة السماوية .

وراح رهط من الشعراء الرومنطيقيين في فرنسا ، في الجيل التاسع عشر ، ينهجون هذا النهج ، ومنهم الشاعر الفريد دوموسه ، الذي اخذ يناجي ربة شعره في « لياليه » الخالدات ، ويسكب معها روحه في احلامه العذبة ، قائلاً : يا ربة الشعر ، سيان عندي الموت والحياة ! اني احب واريد ان اصبر ، واحب واريد ان اتألم ، واحب ، وفي سبيل قبلة اهب عبقريتي ، واحب وازيد ان اشعر بأن ينبوعاً من الدموع يجري دائماً على وجهي الشاحب النحيل ! . .

وفي قصائد الشاعر أندره شونيه ذكر لربة الشعر القديمة . وهي عنده طاهرة وعذبة ، وفيها يقول :

يا ربة الشعر ، تعالي ايتها الوحيدة الالهية ،
يا عشيقة الانهر ، والمغاور ، والتلال ! . . .

ولفكتور هيجو قصائد يخاطب فيها ربة شعره التي هي عنده اجل واسمى مما هي عند دوموسه وشونيه ، فيقول :

يا ربة الشعر ، اسعدي يا ذات الاغاني العنيفة !
انت ربة القانون العادل ، والحق الاعلى ،
انت التي تفيض شفتيك بكلمات نارية ،
وبشرر يخرج من اعماق نفسك ! . . .

اما العرب في جاهليتهم فلم يكونوا على شيء من هذا التزلف الى معبوداتهم ، ولا الى جنيات الشعر اللواتي كن بزعمهم يوحين اليهم . ولم يكن شاعرهم يستنشد الا سليقته ، مستحثاً فطرته الشعرية ليس الا . فان امرأ القيس وقف موقف المنشد والمستنشد بقوله :

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وهكذا يقال في استهلال طرفة :

لخولة اطلال ببرقة ثهمدِ ،   تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقس عليهما . على انه لما جاء الاسلام ، ورسخ الدين في اذهان العرب ، اخذوا يفتتحون مصنفاتهم ومؤلفاتهم بالبسملة ، عملاً بالحديث القائل : كل امر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله فهو اجذم . فانك لا تكاد تجد مؤرخاً ، او مؤلفاً ، او شاعراً ، نظم في علم او فن ، الا رأيته نحا هذا النحو ، الا في قصار المنظومات ، كقصائد المدح ، والهجاء ، والغزل ، والرثاء .

فؤاد عاذار

المنظر الاول

المكان : قمة الاولمبوس حيث هنالك هيكل غريب ، مصنوع من الجليد ، انتصبت فيه أعمدة من البلور ، تتماوج فيها الوان قوس قزح، وفي صدر القاعة تمثالان لفينس وكيوبد .

فينس : آه . . . من هذا؟ أهو انت يا كيوبد ؟ او لا تزال ترشق السهام كمن لم يسأم هذه اللعبة الخبيثة ؟ .

كيوبد : يا لقسوتك يا حسناء الاولمبوس ! تستكثرين علي لعبة ساذجة مثل هذه وانا الذي حرمتني الآلهة نعمة البصر ، فقضت بذلك عليّ الا ارى فينس الحسناء وليس بيني وبينها الا مسافة قصيرة ولكن ماذا يهمك انت من لعبتي هذه — انت التي تجلسين على عرش الجمال . لقد قالوا لي ان ورودا خالدة قد اتخذت وجنتيك مقراً لها ، وذهباً متوهجاً يتوج رأسك الجميل ، ومن عينيك يشع نور كالنجوم التي يطير اليها رفس رسول الآلهة — كذلك هم حدثوني عن صدرك العاجي ، و .

فينس (مقاطعة) : ولكني رأيت الناس من جراء سهامك ، يتحولون عن الورد والذهب ، ويهيمون في اشكال والوان بعيده عن التناسق والحس .

كيوبد : آه . . . لقد عرفت الآن سر امتعاضك . . فما هو الا انانية الجمال ، الجمال المتكبر الذي يعتقد بأنه عند الالوان والاشكال يجب ان يسجد الناس ، مبتهلين الى شكل متناسق ، ولون بهيّ ، آه يا حسناء الاولمبوس ! أحمد الآلهة الرفيعة التي جعلتني اعمى العينين لا تمكن من ان ابصر لوناً آخر من الوان الجمال . . . ولكن اسمع همساً وسيأتي الى هيكلنا هذا زائران . . يزوراننا — نحن الآلهة المهجورة — التي سجد لها الناس في عهد بعيد ، وقدموا لها القرابين ، وضفروا لها الاكاليل من الزهر الندي ، وعزفوا لها الحاناً شجية على ناياتهم الرقيقة . . نعم ! انا اسمع همساً ، وهو ليس عويل العاصفة النائحة على الاولمبوس ، ولكنه صوت هؤلاء البشر الذين أكرمونا في يوم من الايام .

فينس : او حقاً انت تسمع اصواتاً يا كيوبد ، فهذه بشرى عظيمة ، فقد مر عليّ عهد طويل دون ان اظفر بكلمة اعجاب واستحسان .

كيوبد : — نعم ! انا اسمع همساً . انظري جيداً يا فينس .

فينس : — لعلها «هيلن» عائدة الينا .



بقلم الآنسة نجوى قعوار

☆

كيوبد : — فينس ! انت تعلمين جيداً ان هيلن لن تعود الينا ، وخاصة بعد حيلتك الماكرة التي اودت بأبطال «أخائيا» على اسوار طروادة — حيلتك التي ساقت افيجينيا البريئة ضحية على مذبح أرطاميس — حيلتك التي جلبت اللعنة على بيت « اغاممنون » وجعلت نسله لا يلقى الا الدم والنار . اتظنين اني اجهل كيف تخفيت ، واتخذت شكل هيلن ، والقيت في روع زوجها مينالاوس ، ان زوجته هيلن قد خانته ، وفرت مع باريس بينما كانت المسكينة أسيرة في (فاروس) .

فينس (بهدوء) : — لا تتحمس كثيراً يا عزيزي كيوبد . فأنت بعد ان يقال كل شيء . طفل ساذج ، وان كنت تحمل في جعبتك سلاحاً خطيراً . فهذه القصة التي تبرىء هيلن من خطئها كذب وتشويه للحقائق ، ولم يخبرك بها الا ذلك الشاعر المفتون (يوريبيدوس) ، فهي عادة هؤلاء البشر ، يا عزيزي كيوبد ، اذا ما ارتكبوا خطأ فاحشاً ، انقذوا انفسهم ، بأن ينسبوه الينا ، وبعد ان يلطخونا بجرائمهم ، يرفعون الينا قرابين وصلوات ، ممزوجة بالدموع والعطور ، متوسلين الينا ان نرحمهم لما اقترفت ايديهم . ألم تلاحظ يا كيوبد كثرة صلواتهم اذا ما اشتد عندهم سفك الدماء . انهم يصلون قبل المعركة وبعدها ، يصلون قبل المعركة ليظفروا بالنصر ، وبعد المعركة ليستردوا الذين خسروهم في هذا النصر ، مدّعين انهم ضحوا بهم لاجلنا . عجيب امر هؤلاء البشر وما اشق مهنة من يكون الهاً عليهم .

ولكن لنعد الى الشاعر المفتون ، فأنا أؤكد لك ان محاولته لتبرئة هيلن لم تكن الا بدافع الرغبة الشديدة فيها ، حتى دون رؤيته لها ، فهي تستهويه لانها بشر مثله ، ولو تنازلت انا عن عرشي يا كيوبد ، ووصلت هذا الساحر ، لرأيت كيف تغنى بي وفتش عن عرش اسمى من الاولمبوس ليتوجني عليه . ولكنهم البشر يا كيوبد ، وليس امهر منهم في تمجيد ذلك الذي يطفىء الرغبة الكامنة فيهم .

كيوبد : (بخبث) ولكن ماذا كان يمنعك يا فينس ان تصلي الشاعر العبقري . انه اذن كان ينظم فيك قصائد خالدة ، خليقة بورود وجنتيك ، وسحر عينيك .

فينس : لقد قلت لك يا كيوبد انك طفل . ولن تفهم ان الناس ، وكذلك الآلهة لا يعشقون الجمال ، وانما هم يعشقون

السعي في سبيله. هم يهيمون بالصلوات التي يرفعونها، والقصائد التي ينظمونها، والاغاني التي ينشدونها — انهم يهيمون بأنفسهم وهي في حالة الهيام. كيوبد! دعني اعترف لك بأن الجمال، اذا خلا من هذا الوهم الذي يحمل الناس على متابعته، لم يبق منه الا ما قلت انت قبل قليل، لم يبق منه الاخطوط والوان، وانا يا كيوبد لو وصلت الشاعر لما كنت هنا في حسني وشبابي، وكانت هيلن تراباً تدوسه الاقدام، هذه ميزة الآلهة انها تعف عن ان تصل الناس، فتبقى في نظرهم آلهة.. ولكن كيوبد! ها هما الزائران قد دخلا. انها ليست هيلن، ولكنها حسناء.. حسناء لها وجه مثل وجهي الذي كنت اراه في صفحات انهار اركاديا الرقراقة، وفي صحبتها رجل قد اخذ شبح السنين يسري على وجهه.. انه في الاربعين من عمره او هذا ما يخيل الي.

كيوبد: ستشهدين الآن عجباً، وستسمعين فصلاً من المسرحية التي لن تنتهي ما دام في جعبتي هذه النبال. انا اعرف هذين الشخصين يا فينس، فهذا الرجل كان يهذب هذه الفتاة، فيعلمها الحكمه والشعر والتاريخ والموسيقى، لقد عرفه والدها رجلاً متزناً، فاختاره لتهذيبها. وتسللت يوماً الى المكتبة وجلست على بعض المجلدات الضخمة، فسمعه يلقي عليها درساً في حسن السلوك، وضبط النفس، واخضاع القلب لارادة العقل، فثار غضبي اذ سمعته يريد ان يجعل من القلب عبداً للعقل، وفي احدى الليالي بينما هو يغط في سبات عميق، رشقته بسهم حاد من هذه السهام التي احتفظ بها للمناسبات الخالدة، ولكني كنت لئيماً جداً يا فينس، فكان من واجبي ان ارشق الفتاة بسهم مماثل، ولكني لم افعل شيئاً من هذا، وكانت النتيجة مهزلة مرة، فهذا الرجل الذي لم يكن له من حسناء يتابعها الا المعرفة اصبحت هذه الفتاة هي الحسناء الوحيدة التي يتابعها.

فينس: ويحك يا كيوبد اتمنى لو يبعث الآله زيوس من يصوب سهماً الى هذا، فقد ترأف عندها بهذه المخلوقات وتكف عن لعبتك الخبيثة.

كيوبد: انا مسلح يا فينس. وليس هنالك اي سهم مهما كان حاداً بامكانه ان ينال مني.

فينس: وكيف ذلك؟.

كيوبد: لقد توسلت الى افروديت — لان لها علماً بداء القلوب — ان تشفع لي عند الآله زيوس ليريحني من قلبي، فانا الذي حرمتني الآلهة نعمة البصر، عليها اذن ان تشيبني بأن تنزع قلبي مني، لأبقى حراً طليقاً، فيكفيني نوع واحد من العمى

فينس: واين قلبك الآن يا كيوبد.

كيوبد: — (ضاحكاً) لن اخبرك فهذا هو سري العظيم. ولكن صه يا فينس وانصتي بسكون.

المعلم: هيا ادخلي يا نورا! لقد ضللنا الطريق، فاجلسي لنستريح قليلاً، ريثما يسكن غضب العاصفة في الخارج، وثم نواصل سيرنا علنا نهتدي سواء السبيل.

نورا (بغضب) انا لا اصدق اننا ضللنا السبيل انما انت تقودني الى هنا، وتبعدني عن الناس لان لك مأرباً آخر.

المعلم: نورا! تروي قليلاً ودعيني اقسم لك بوجهك الجميل اني فقدت الطريق، لقد اضعت السبيل السوي، ليس من الآن ولكن من عهد بعيد، من حين ان جعلني والدك مهذباً لك لارشدك واطلعك على حكمة اليونان وفنهم وادبهم. انت تعلمين يا نورا انهم الشعب الذي أحب الجمال ورأوا فيه الشيء الوحيد الذي يستحق ان يجاهد المرء في سبيله، هياكلهم وملاعبهم، ادبهم وغناؤهم، اساطيرهم وفلسفتهم كلها كانت وقفاً في سبيل هذه النعمة الكبرى في الحياة، وانا لست اراهم مخطئين. نورا لا تحولي وجهك عني هكذا فأنت لا تعلمين الجحيم الذي اعيش فيه، انه جحيم محرق لا يعرف الرفق ولا الهوادة، ولكني ارى على ألسنة ناره الحمراء جنات وارفات، اراها يا نورا ولكني كلما حاولت ان اصل اليها اتحقق انها ليست من نصيبي، لان بيني وبينك اميالاً بعيدة من التفاهم والحب. انا احبك يا نورا حباً لا مفر منه ولا مهرب. حباً يسيطر على كل حالة من حالاتي ويلونها.

نورا: وما دمت تعلم ان محاولتك مخفقة، ففيم محاولتك اذن؟

المعلم: لست ادري يا نورا — ولكن قد تكون المحاولة المخفقة هي كل ما تبقى لي ان اصرف فيه جهودي.

نورا: (تلتفت فترى التمثالين، فتسرع نحوهما بلهفة وسذاجة) انظر! يا إلهي ما اجملهما. انا اعلم الى ما يرمزان... هذه فينس وهذا كيوبد. (تمد يدها وتتحسس تمثال فينس).

المعلم: (من مكانه) او لا تظنين انه جدير بالحب والاعجاب. انت لا تلومينني يا نورا اذن.

نورا (تجمد في مكانها وقد شحب وجهها كثيراً. تتمتم لنفسها): آه ما هذا الذي احسسته في قلبي الآن. لقد هوى

واضطرب . آه . . ماذا حدث لي ؟ . . .

المعـلم (وقد لحظ اضطرابها) نورا ! مالك ؟ .

نورا : لست أدري . انا تعبة منهوكة القوى (بغضب) اذهب من هنا . بل دعنا نخرج من هنا . انت ساحر وهذا المكان مسحور انا لست انا . أحس اني غريبة عن نفسي . اريد اشياء لم اكن اعلم بها ، ولم تكن تخطر ببالي . أحس بقوة عظيمة تسيطر عليّ وتدفعني نحو . . نحو آه . . لا ! لا ! لن اقول نحوك أنت . . آه ! اين انا . . هنالك سهول عظيمة تمتد امام ناظري ، وسماوات مشرقة بهية تنفتح امامي ، وجبال مكسوة بالثلوج تنعكس عليها ألوان عميقة لا حصر لها ، جميع هذه تدعوني اليها . . آه اريد ان أنام فانا لا اقوى على مقاومة النعاس (ترتخي وتسقط في اعياء عند قدمي التمثال وتغط في نوم عميق) .

فينس (بفزع) ماذا فعلت ايها الطفل الخبيث ؟ ماذا حدث للفتاة ؟

كيوبد : (ضاحكاً) لست ادري ! ولكن قد يكون اصابهـا السهم الذي قذفت به الآن فانا عندما رأيت جنس البشر لم استطع ان اقـاوم متعة قذفهم بالسهام .

فينس : ويحك ايهـا الماكر . . مسكينة نورا . . انها تهذي في نومهـا كالمحموم انا اخاف على الفتاة يا كيوبد فقلبها آخذ في الاشتعال . انه كجمرة متوهجة فلا تكتم عني واقع الامر . لماذا أسأت الى الفتاة هكذا ؟ . . .

كيوبد : لقد اشفقت عـلى الرجل يا فينس . . ولم أعد احتمل كبرياءها . . ساعاقبها عقاباً مؤلماً .

فينس : (ساخرة) وكيف ذلك ؟

فهي اذا ما استيقظت ستجد نفسها تحب الرجل الذي يحبها ، ولست أرى في هذا عقاباً ، بل انه نهاية جميلة لهذا المطاف .

كيوبد : لا يا عزيزتي فينس فانا لم اختر لها هذه الخاتمة السعيدة ، فسأنزع الآن من قلب الرجل السهم ، وسيرى الاشياء على غير ما كان يراها عليه . اما هي . .

فينس : كيوبد . . أرجوك الا تفعل هذا ارجوك كيوبد !

كيوبد : (ساخراً) ما أرق قلبك يا فينس ولكنه الجمال ! حريص دائماً على ان يبقى الجمال منتصراً . (ينتزع السهم من قلب الرجل ويعيده الى جعبته) هذه سهام خطرة أحتفظ بهـا للمناسبات العظيمة ، ولا استطيع ان أبذرها بسخاء .

المعلم :— آه ! لقد بدأت افتح عيني . فأية مهزلة كنت أعيش فيها . وكيف ضعفت ، فرغبت في هذه الفتاة الساذجة ، ما هي الا طفلة ، وكطفلة يجب ان احنو وأعطف عليها . اما ان اتعذب في سبيلها فقد كانت فترة جنون . . لا ! لا ! فلن يعني عندي بعد اليوم وجه نورا وصوتها الا بقدر صورة جميلة ابتدعتها الطبيعة الفنانة .

نورا : (تستيقظ وفي عينيها نور جميل) آه . . أين انا بل اين أنت (ترى المعلم) لقد حلمت حلماً جميلاً . حلمت اني اسير معك في غابة كثيفة ، وقد القى القمر بشعاعه ، فغمر الغابة بنور فضي جميل ، وقد أمسكت بيدي وقلت لي انك تحبني . . انا مشتاقة اليك ، وشفتاي تلتهبان بظمأ شديد اليك . . . دعني أذهب معك ، لاني لن اكون سعيدة الا اذا شعرت بيديك القويتين تطوقانني . . و

المعلم : نورا . تعالي يجب ان نعود . . فأنت جد حكيمة أن لم تدعني لفـترة الجنون التي استولت علي . لقد فتحت عيني ورأيت أنانيتي ، فصبية مثلك يجب ان تكون للصبا والشباب تعالي يجب ان نخرج من هذا المكان فهو كما قلت انت عنه . انه مسحور .

نورا : (بألم) آه ! انت لم تعد تحبني وأنا ارى ذلك في عينيك . ما أتعس الذين تحرق قلوبهم امام الحجارة الصماء ، وصلوات قلوبهم لا تنفذ الى القلوب التي اصعدت اليها . . كجمرة تتوهج لتحرق صاحبها ذلك هو قلب المحب . . . لقد بدأت افهم معنى هذا الكلام . . . آه ما كان أغباني ساعة رفضت حبك العظيم ، مع انه ليس أحب الي الآن من ان اعيش في ظل قوتك ومعرفتك وعمق شعورك . . انا لا اريد شيئاً الا ان أراك واسمعك ، وانفذ ارادتك . . اني بهذا احس ان في الحياة شيئاً يستحق المرء ان يعيش لاجله . . . ولكن آه . . انت لم تعـد تحبني وستذهب وتتركني فريسة الوحشـة القاسية ، لا تنظر اليّ هكذا . فأنت تشفق عليّ وترثي لحالي ، وانا لا اريد شفقتك ، فهي تضاعف احتقاري لنفسي . . . انت تنظر اليّ كما ينظر الذي على الشواهق الى من سقط في واد سحيق . . وأنت بقوتك ومعرفتك وارادتك كمن يقف على الشواهق ، اما انا ففي حفرة عميقة من الضعف والالم والحيرة . بربك . لا تقف هنا وتنظر في وجهي هكذا . . اذهب . فما الفائدة من قربك وانت بعيد عني . . انت لن تسمع العاصفة كما اسمعها انا صاخبة بثورة الحب وجنونه ، ولن ترى النجوم كما اراها انا ساهرة من وجد وحنين ، ووحدة الجبال لن تعني عندك شيئاً ، بينما اراها انا هياكل للشوق والذكرى . جميع هذه ترثي لحالي ، وتفهم موقفي اكثر منك

فلم يبق منك انت الا عقلك وارادتك ، وانها اداتان لن تنتهيا بك الى ذلك المقدس في حياتنا .

المعلم : نورا ترفقي بنفسك قليلا . واستمعي لي لأقول لك اننا لا نستطيع ان نعتمد على الحب ، فهو دائم التغيير . . ستفتحين عينيك في يوم من الايام وستجدين نفسك الى جانب رجل يبعدك فارق السن عنه كثيراً .

نورا : آه كقصبة في مهب الريح كذلك انا . . ماذا حدث لي واي نار تلك التي تتأجج في قلبي ولكن لماذا لم تزل واقفاً هنا . اذهب ودعني في وحدتي . . فشفقتك عدو يحطم كبريائي .

المعلم : نورا ! ان اتركك أمر ليس معقولا وانا الذي اتيت بك الى هنا . سنكون صديقين دائماً يا نورا فالصداقة رباط اوثق من كل رباط .

نورا : انا لا استجدي منك شيئاً بدل الحب يا سيدي فلا تسيء فهمي ، وبالمناسبة فلن تحل الصداقة بدل الحب ؛ فالصداقة ثمرة من ثمار العقل ، والحب شعلة من نيران القلب . ولكن لماذا انتظرك انا التي سأذهب — سأذهب لأهرب من هذا الجديد المخيف الذي طرأ على حياتي .

(نورا تندفع خارجة من الهيكل . يتبعها الاستاذ . يفتش عنها . يسمع عويل العاصفة في الخارج وصوت المعلم وهو ينادي) نورا اين انت ! العاصفة شديدة . و . . .

فينس : كيوبد ! انا لا احسدك على ما قمت به الآن . . لقد أدخلت شقاء على قلب كان سعيداً هانئاً .

كيوبد : — لقد كنت تتهمينني بالسذاجة ، والظاهر انك اكثر سذاجة مني ، فانا لم اسيء الى الفتاة . انما انا اقوم بواجبي نحوها ، لاني افسح لها المجال لتواجه هذا الاختبار الذي حكم على البشر اجتيازه ان هذا السهم الذي اخترق قلبها هو بداءة ميلاد جديد في حياتها ، لقد كان قلبها كبذرة راكدة في الارض ، ولكنها الآن تنشق لتشب وتنمو وتواجه النور والفضاء .

فينس : قول حسن يا كيوبد ، ولكنك زرعت في نفسها رغبة ليس فيها غير الدموع والآهات ليتك تقبل شفاعتي لاجل هذه الفتاة . عُد الى الرجل ، وجدد حبه . أرجوك . . ارجوك كيوبد .

كيوبد : (ضاحكاً) يعجبني منك هذا الاهتمام البالغ برعاياك الحسان يا فينس فاذا بحسناء الاولمبوس تتضرع الى الطفل الاعمى . . ثم انت تطلبين الي ان اعود الى الرجل فأجدد ما كان في قلبه ، كأن السهام اذا نفذت الى القلوب يمحي أثرها . . الحب لا يزول قد يذوي ويتضاءل ولكنه موجود دائماً ، يشرئب الى الحياة ثانية اذا ما دعا الى ذلك مؤثر ما .

فينس : اذن لا يزال هناك امل للفتاة . .

كيوبد : لست أدري . انا اشعر بحاجة شديدة الى النوم ، وقد استغرقت منا قضية هذين الشخصين مجهوداً ووقتاً كبيرين ؛ وانا لست مستعداً ان أصرف مثل هذا الوقت على قضايا المحبين والعشاق . الا تريدين ان تنامي انت الاخرى ؟ .

فينس : لا . انا كرهت النوم ، وكرهت الجلوس على عرش الاولمبوس . ان البشر يستمتعون بوقت أطيب منا . انهم يستمتعون بالحب والجمال ، هذا الذي نسكبه نحن عليهم ، ويأتيهم منا ، بينما نحن لا نفيد منه شيئاً ، ولا نجني منه ثمراً . كيوبد ! . كيوبد ! آه ! يا للطفل الغرير . انه يغط في نوم عميق . آه . . اتمنى لو اصبح بشراً لاتعرف على مشاعر هؤلاء القوم . آه . . حلم لن يتحقق فأبقى آلهة مهجورة على قمة الاولمبوس .

المنظر الثاني

المكان : الهيكل الغريب على قمة الاولمبوس .

فينس : ألا حدثتني يا كيوبد عما حدث لنورا بعد ما هبطت الجبل ؟ .

كيوبد : عمن تتحدثين؟ انا لا اذكر .

فينس : الفتاة التي اتت الى هيكلنا هذا مع استاذها ، وقذفتها بسهم حاد .

كيوبد : آه . لقد تذكرت . . نعم ان لها قصة . فانها بعد ان هبطت الجبل ، عاودها الحنين واخذت تفتش عن معلمها ، وكان هو ايضاً يبحث عنها ، ليطمئن على سلامتها ولأنه يشفق عليها ، هذه الشفقة التي كانت تكرهها منه . . وبالمناسبة فان شفقة الرجل على المرأة امر خطر جداً يا فينس ، فهي هيكل يؤدي الى محراب الحب ، انها درب مستترة ملتوية توقع الرجل في شرك الحب ، لان شعور الشفقة هذا ناتج عن شعور الرجل بقوته من جهة ، وبضعف المرأة من جهة اخرى ، وهذه مستلزمات الحب ، ولكن لأتم لك قصة نورا فهي لم تلتق باستاذها ، ولما يئست من ذلك اعتقدت انه هلك في العاصفة ، وهو ينحدر عن الجبل . ومرت الايام والتقت بشاب فنان احبها حباً عظيماً ، فتزوجت منه ، ولكن ما اسرع ما اكتشف انه متقلب متهتك يكثر من معاقرة الخمر . واحتملت نورا كل ذلك بصبر وأناة ، وقد عقدت آمالها على طفلها الجميل . اما حياتها هي فكانت سلسلة من الاحلام والاختبارات التي كانت تستمدها من وهج قلبها ، وتستغني بها عن احداث

الحياة الخارجية .

وفي احد الايام بينما كان زوجها خارجاً من بيت احد اصدقائه، وكانت الخمرة قد لعبت برأسه صدمته عربة فوقع تحت جيادها مضرجاً بالدماء، وما أسرع ما فارقته الحياة.

وعاشت نورا وحيدة في بيتها المنفرد مع طفلها الذي غدا معقد آمالها وقد فقدت ثقتها بكل شيء، تنظر اليه، كما . . .

فينس : (مقاطعة) كيوبد ! صه . انها في الباب، تمسك طفلها بيدها . وقد اكسبها الحب والامومة جمالاً جديداً . ما الذي اتى بها الى هنا ؟ .

كيوبد : كما يتلهف الغريب للعودة الى وطنه هكذا يشتاق القلب الى موضع حبه الاول .

الطفل : ماما ! ماما ! انظري ما اجمل هذا الطفل . . ولكن مسكين : انه اعمى . (يقترب من تمثال كيوبد) .

نورا : — ان هذا العمى من سوء حظنا نحن .

الطفل : مامـا . وهل هذه امه ؟ (يشير الى فينس) .

نورا (لطفلها) قد يكون ذلك ! .

فينس : أسمعت يا كيوبد حتى الطفل يعتقد بأن الجمال هي أم الحب وسببه . ولكن . . كيوبد . . كيوبد أتعلم من الواقف بالباب الآن .

كيوبد : أظن اني اعلم .

فينس : ولكنها لم تره حتى الآن .

كيوبد : ستراه قريباً . (تلتفت نورا فترى معلمها) .

نورا (في اضطراب شديد . تحادث نفسها) يا آلهي . أفي حلم انا . . ام هذا طيفه من العالم الآخر ، لا يزال يحوم في ارجاء الاولمبوس ؟ .

المعلم : (يراها فيتقدم نحوها) نورا ! انت هنا ! ولا تزالين على قيد الحياة ! آه انا سعيد جداً . وانها لمصادفة جميلة تلك التي تجمعنا ثانية وفي هذا المكان .

نورا : يا آلهي انه هو . . ولم يتغير منظره ، فكأنما السنون قد توقفت عن الزحف اليه . . امـا أنا فأي فيض عظيم يجتاح قلبي لرؤيته . ان قوته وثبـاته تحطمان ارادتي (تضم طفلها اليهـا كأنما هي تحتمي به) .

المعلم : كثيراً ما فتشت عنك يا نورا لأسأل عن حالك ، ولاعتذر اليك عن هذا الذي سببته اليك . ولكني سعيد جداً ان ارى انك تزوجت . اهذا طفلك ؟ .

نورا : نعم ! .

المعلم : طفل جميـل . لا شك في انك حريصة جداً على تهذيبه وتعليمه .

نورا : (بعد تردد) اتمنى لو يرضى معلمي ان يشرف على امر تهذيبه .

المعلم : (بعد صمت) زيت المصابيح معرض للنفاد يا نورا ! .

نورا : نور الجواهر ثابت في توهجه امـا تلك الانوار التي تستمد نورها من الخارج ، فهي فقط التي تعتريهـا الحيرة والالم اذا ما انقطع عنها النور الحقيقي .

المعلم : وماذا تريدينني ان افهم من هذا الكلام يا نورا . لقد قلت لك يوماً ان كل نفس تستضيء من جوهرها . اما التعليم والتهذيب، فما هما الا صقل وتحسين . ولكن دعينـا من الحديث عن طبيعة الانوار . أسعيدة انت في حياتك الزوجية

نورا : (ترتبك قليلاً ثم تجيب بسرعة) نعم سعيدة جداً .

المعلم : وهل افدت من العلم الذي تلقيته عني لانه يهمني جداً ان اراه يثمر بحياتك الجديدة هذه .

نورا : نعم كثيراً .

المعلم : ومن هو الرجل السعيد الذي ظفر بالحسناء ؟ .

نورا : رجل اعتبر نفسي سعيدة جداً ان اظفر به . انه فنان يستلهم وحيه من الآلهة .

المعلم : أية آلهة ؟ هذه ؟ (يشير الى كيوبد وفينس) .

نورا : (تنظر الى التمثالين) نعـم ! ومنهما فقط . اما المعرفة والحكمة فهي آلهة لا يؤمن بها . ولا يعتقد بقيمتها فهو يراها نسبية ومتغيرة، بينما هذه تصل الى كمالها ونهايتها في حياة كل فرد .

المعلم : (وهو يحاول ان يكبت ألمه) وما دامت هذه عقيدة زوجك فلـماذا تريدينني ان اهذب ابنك بمعتقدات لا يدين بها والده ؟

نورا : أريده ان يتحسس هذا السر الذي يجعل المرء متسلحاً ، يستطيع ان يكون سعيداً في وحدته (تلتفت نورا) يا آلهي . . . اين طفلي ؟ . (تندفع الى الخارج تفتش عنه) .

المعلم : آه ! يستطيـع ان يكون سعيداً في وحدته . . كذا تعتقد نورا . انها لا تعلم كيف تعذبني الذكريات . فقد كنت اعتقد اني شفيت من داء الحب ، ولكن يا له من داء عضـال يكمن في اعمق جذور حياتنا ، ويبدو لنـا دائماً في اهاب جديد . خواطر وذكريات تعصف بحياتي وكأن السنين التي تسير بي الى اللحد تأبى ان تخمد جذوة هذا الحب . . فأي شعور فياض يمتلكني لرؤيتها ، لقد احسست بأن نفسي قد ارتعشت من لمسة سحرية . ولكن نورا يجب الا تعلم شيئاً من هذا ،

فهي سعيدة في حياتها الزوجية الى جانب زوجها الفنان ، اما ما مر بهـا من سالف العهد من شعور نحوي ، فقد كان امـراً عابراً ، كأنما كيوبد قد صفق بجناحيه فوق قلبها فقط ثم طار عنها دون ان يمس قلبها.

اما انا .. انا الذي اسير في درب وعر لم ينته بي الى اية غـاية .. اقف اليوم على تل من الاطلال، وكأنما الماضي يسخر بي. نورا انا احبك حباً عظيماً . والمعرفة التي تؤمنين انها سلاحي ، عاجزة ضعيفة امام الحب ، لانها لا تحقق الا شطراً واحداً من انسانيتنا ، واذا لم تتحقق الناحية الثانية فالمعرفة لا تزيدنا الا يأساً وحيرة .

(يسمع حركة وراء التمثال ، ويخرج عندها ابن نورا وقد كان مختبئاً وراء التمثـال)

الطفل : آه . لا تقل لامي عن مخبئي هذا . ان لي مخابئ كثيرة في البيت ، وهي حتى الآن لا تعرفهـا ، ودائماً هي تفتش عني ، دون ان تهتدي الي . ولكن انظر الى هذا الطفل مسكين انه اعمى ، وماما تقول ان هذه امه . انهما مثلنا — اثنان .

المعلم : وكيف ذلك وانتم ثلاثة . انسيت والدك ؟ .

الطفل : والدي .. آه .. والدي . لا . انه ذهب من زمن بعيد .. ومامـا تقول انه لن يعود ، وسنذهب اليه نحن عندما اصبح انا رجلاً كبيراً استطيع السفر .

المعلم : آه .. نورا مسكينة أنت .. لماذا تخفين عني تعاستك والمك ووحدتك .. (مخاطباً الطفل) ولكن أمك لا تزال تفتش عنك في الخارج (جمان بالخروج واذا بنورا عائدة) .

نورا : (مخاطبة طفلها) يا لـك من شيطان صغير اين كنت مختبئاً ؟

الطفل (ضاحكاً) بربك لا تقل لها !!

المعلم : (يلتفت الى نورا) لا! لن أقول لها . نورا . لماذا اخفيت عني كل شيء .

نورا : (بارتباك) وماذا أخفيت عنك ؟

المعلم : وحدتك وتعاستك .. ألعلك لا تثقين بي ؟

نورا : آه ! . هل اخبرك طفلي بالامر ؟

المعلم : نعم . نورا ! لماذا لماذا ؟ لماذا كنت تتحدينني قبل لحظات كأنما هنالك ثار بيني وبينك .

نورا (بيأس) آه . انا تعسة جداً .. وانت آخر من اريد ان يعلم عن تعاستي وشقائي . انا اخاف احتقـارك لضعفي وشقائي . بامكاني ان احتمل كل شيء الا هذا الاحتقار .

المعلم : نورا ! يا لحكمك القاسي هذا ! ومتى كنت انا فوق الشقاء لاحتقر الشقاء ؟ .

نورا : آه .. انت أرفع منه لا تذعن له ولا تذل مهما كان عاتياً وجباراً .

المعلم : حكم خاطئ يا نورا . حكم من لا يعرف الحقيقة ، ولا يحسن الاستنتاج .

نورا : ومعرفتك .. معرفتك التي جعلتك جباراً عاتياً .

المعلم : المعرفة سبب يزيد شقائي . فلا قيمة لها ان لم تمتزج مع عواطفنـا ، لتحسن اخراجها واعلاءها .

نورا : لماذا اذن رفضت حبي الاول وحطمت نفسي .

المعلم : الطبيعة البشرية شديـدة التعقيد ، كثيرة الالتواء ، وانا لن استطيع ان افسر لك ماذا حدث لي في تلك الفترة ، لقد احسست اني فوق الحب ولكني كنت مخطئاً ، فقد كنت بعدهـا افتش عنك دائماً .. دائماً .. نورا ! انا احبك حباً فوق السنين ، وفوق المعرفة وفوق الارادة . نورا لقد ادركت شيئاً عظيماً . ان اعظم انواع المعرفة هي تلك تأتينا عن طريق الحب . لا تبكي يا نورا فدموعك هذه تدمي فؤادي . أين ولدك ؟ .... انه مختبئ وراء كيوبد . الظاهر ان الطفل الآله يبعث رسائله بواسطة الاطفال .

نورا . تعالي نترل الجبل : فها هي النجوم قد بدأت تتقد في السماء .

(يهبط الثلاثة الجبل)

فينس : كيوبد ! لقد سار هؤلاء الثلاثة . وانا الآن أحس ان المكان قد فارقه الدفء والانس . انه جامد بارد . وقد سئمت الحياة عـلى الاولمبوس لقد اكتشفت ان كوننا آلهة لهو شيء لا قيمة له . فهؤلاء البشر يحملون آلهتهم في قلوبهم . كيوبد دعنا نذهب من هذا المكان . فاما ان نصعد الى النجوم حيث يأوي رفقاؤنا الآلهة او نصبح بشراً . فالحب هو شيء يستحق ان نصبح لاجله بشراً .

كيوبد : (بردد) يحملون آلهتهم في قلوبهم !! بل اكثر من هذا يا فينس ؛ فما نحن الا آلهة انبثقت من ميولهم لتسدد حاجة من حاجاتهم . لقد انتزعوا ميولهم من افئدتهم وجعلونا رمزاً لها ، وجثوا على الارض يعبدونها . فينس ! الا يتراءى لك أحياناً انهم هم المبدعون ، انهم هم الحقيقة ، ونحن ترجيع الصدى !! آلهة مهجورة على الاولمبوس نحن يا فينس ، لنرمز الى عهد من أطوار عبادتهم ! ولكني اظن اني استطيع ان أنظر الى وضعنا هذا بشيء من الامل ، فما دام الحب والجمال خالدين في قلوبهم ، نظل نحن آلهة لها قيمتها وأثرها .

الناصرة **نجوى قعوار**

قواعد العربية واساتذتها

بقلم عيسى ميخائيل سابا

يذهب فريق من ادباء هذا العصر واساتذته ، الى ان قواعد العربية تحتاج الى اصلاح ، ولا اعلم ما يعنون بذلك ؟ .

فهل العربية حديثة العهد قريبة الوضع محيرة مضطربة ، لتعمل بها يد الهدم والبناء ، فيستقيم بيانها ؟ .

ذلك سؤال نطرحه على محبي ذلك الاصلاح والقائلين به ، فقد التبس قولهم على كثير ممن يشتغلون بالقواعد العربية ، ونحن نعلم ان العلوم الموصلة ، قد اشبعها الائمة بحثاً ودرساً حتى استقامت لهم ، وانطبقت على ما سمع عن العرب الاقحاح الذين اتصلت بنا لغتهم ، وقد جروا بها مجرى منطقياً رياضياً ، وربطوا الاسباب بمسبباتها ، وعللوا وتفلسفوا حتى وصلتنا تامة صحيحة لا شبهة فيها . وبات عملنا التسهيل والتبسيط وحذف الزائد الذي لا يضر ولا ينفع .

وخير طريق للوصول الى ذلك هو : ان يتجرد أئمة هذا العصر وينظروا بما يكتبه الادباء وما يستوحيه الشعراء ، ويضعه العلماء من ابحاث ، ويبنون تبسيط القواعد على ضوء الكتابة التي يعهدها ابناء هذا العصر ، وبذلك يبقى الاتصال وثيقاً بين القديم والحديث — ومن لا قديم له لا حديث له — .

والتسهيل الذي ارمي اليه هو الاقتصار على مذهب واحد وطرح الجائز ونبذ الشاذ واللغات الضعيفة ، وعدم الالتفات الى ما ورد شاذاً لضرورة شعرية ، او قول محكي الى غير ذلك مما هو مدون في كتب الائمة وقام عليه الخلاف* .

ومما يبعث على الاسف الشديد قيام نفر من الادباء يبعثون القول تلو القول ، فهذا يرى ضرورة الوقف على الساكن عند كل كلمة ؛ وان الحركات الاعرابية لا لزوم لها ، ألا ليت شعري ، اذا اقر هذا النفر على رأيه ، فأين يكون جمال اللغة وأين تذهب روعتها ونوطتها الموسيقية ؟ وكيف نفهم تراثنا القديم ؟ وآخر يرغب في ان تجمع المنصوبات تحت ضابط واحد والمرفوعات كذلك ، ونحن نعلم ان المنصوبات يتميز بعضها عن بعض لمعنى خاص بها فلا يعدوها الى غيرها ، فالتمييز غير الحال ، والمفعول به غير بقية المفاعيل والبدل غير عطف البيان وهكذا قل عن سائر الابواب .

ولا انكران على ان في قواعد اللغة ابحاثاً يمكن الاستغناء عنها ، ومنه ما يمكن ان يدمج مع غيره في الابحاث الصرفية فيؤلف بحثاً واحداً دون اخلال بالمعنى ، وتستمر الدراسة واحدة متدرجة من المدرسة الابتدائية الى الثانوية الى الجامعية حيث التخصص فلا يرى الطالب كبير فرق بين ما رآه صغيراً وما يراه يافعاً ومراهقاً .

وعلى النحو الذي اقول به تسير القواعد سيراً مطمئناً لا يعتورها نقص او خلل ، والقواعد التي بين ايدينا اليوم لا تحتاج الى اصلاح وانما هي بحاجة الى اساتذة يعرفون كيف يسهلونها ويبسطونها . وعلى ضوء ما ينشئه كتابنا اللامعون نختار ما يحتاج اليه الشاعر والناثر ، فيسلم لنا القديم ونخدم الحديث ونمشي بلغتنا التي ماشت العصور وهضمت مدنيات امم كثيرة ، لا يزال اثرها ظاهراً بيناً في الكثير من كلماتها .

ولعل الذين يشكون من وعورة القواعد العربية ، ولا وعورة هناك يضنيهم البحث ويقض مضاجعهم الاخذ باطراف القواعد كلها ، ولكي لا يقال اني القي الكلام عواهنه ، آتي بالبينة لأدلل على ما وصلنا اليه من تقصير .

لقد اجمع مؤلفو الادب الحديثون على ضبط بيت النابغة الذبياني بما لا يقره المنطق ولا يقبله العقل ، بناء على رواية الاعلم الشنتمري في شرحه المعلقات السبع وقد يكون ذلك خطأ مطبعياً ، والبيت هو :

يا دارُ ميَّةَ بالعلياء فالسند اقوت وطال عليها سالف الأمد

فقد ضبطوا دار بالفتح وهو خطأ فاضح يخالف كل المخالفة القواعد النحوية والبيانية معاً ، والواجب ضبط دارُ بالضم لا غير ، اما الدليل النحوي فهو : يحذف المنادى بعد « يا » فقط لانها ام الباب ، فيقع الفعل بعدها كما في الآية « الايا اسجدوا » اي يا قوم اسجدوا ، ويحذف المنادى بعد الحرف ايضاً كما في الآية « يا ليتني كنت تراباً » اي يا قوم وكقول الشاعر :

فيا ليت ان الظاعنين تربصوا ليعلم ما بي من جوى وغرام

وبعد الجملة الاسمية كقول النابغة نفسه :

يا دار ميّة بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد

---

* راجع كتاب الانصاف للانباري .

سيجارة

الى ذات السيجارة المترفة في شامونيكس

✫

يا ابنة الانملة الحلوة رفقاً بالجراح
سربلي بالرعشة السكرى غوايات الوشاح
غازلي ، باللهب الاحمر ، ثغراً وجناح
داعبي ، في النقلة الجيرى ، صبابات الملاح
واقطفي القبلة ، في لين ، غدواً ورواح
قبلة لا الليل يعيها لا ، ولا جفن الصباح

***

تتهادين ، على الورد ، على طيب الاقاح
مثل طير مترف ابيض ساقته الرياح
تغزل النار ، منقاره عذب البواح

***

وتمرين ... هنيهات من العمر تتاح
شفة كسلى توافيك بريق وبراح
تنثر الخفقة من روحك ظلاً يستباح
ترشف الآهة من فيك فتضنيك البراح

***

انت تذوين خيالا شفه الحب فطاح
وغماماً شده الشوق الى ثغر وقاح
ودخاناً دافق العطر تولى ثم لاح
فاذا جاذبك الوهم واغراك الطماح
رفرفي ، بين بنان لبق ريان ضاح
وشفاه ، في مراميها الشذى فاح وساح
فكرة شاردة هائمة في كل ساح

شامونيكس – سويسرا بديع حقي

« بضم دارُ » ولك ان تقدر المحذوف بما تشاء مثل يا قوم او يا رجل ونحو ذلك ، وقال بعضهم ان « يا » حرف تنبيه ، وقيل ان تلاها خطاب فهي للنداء لكثرة وقوعه قبله ، وان تلاها غيره فهي للتنبيه . ونداء الغائب لم يرد في كلامهم ألبتة فلا يقال يا هو واما قولك يا ابرهيم اين انت ؟ فكأنك تصورته امامك فناديته ثم اضمرت خطابه وانت تنتظر الجواب وعليه فلا يجوز ضبط بيت النابغة الا هكذا :

يا دارُ ميّة بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد

على تقدير يا قوم ، ولك ان تجعل حرف النداء حرف تنبيه ، والا اذا نصبت دار فما يكون محل جملة اقوت وما بعدها من الاعراب واي معنى تؤدي .

وثالثة الاثافي ؟ ما اخبرني به ابن الثقة قال : ان احد اساتذة الجامعة الاميركية في بيروت يزعم ان همزة ابن يجب ان تثبت كيفما وقعت ، لانه لم يرَ نصاً يقوم الدليل عليه باسقاطها ولذلك اثبتها في كتاب نشره واطلعنا عليه ، وهو استاذنا ويعز علينا ان نغمز من قناته وله عندنا حرمة وتقدير ولكن خدمة اللغة فوق كل شيء . اما النص على اسقاط همزة ابن هو ما جاء في الجمانة في شرح الخزانة :

«وهمزة الوصل اختزل لفظاً فقط وفي القليل رسمها ايضاً سقط
كقلت للحويرث بن جعفر أليوم جئت فأتني بالخبر »

اي ان همزة الوصل تسقط في اللفظ دون الخط كما لا يخفى ، وقد تسقط فيها جميعاً وذلك بعد اللام الداخلة على مصحوب « أل » وهي لام الجر نحو : قلت للحويرث او غيرها نحو : « وللآخرة خير لك من الاولى » وبعد همزة استفهام نحو : « اليوم جئت ام امس وبعد الفاء نحو : فأتني بالخبر .

ومن هذا القبيل همزة ابن الواقع صفة بين علمين نحو قلت للحويرث بن جعفر ، ومثلها همزة ابنة كقولهم : تغلب بنة وائل واعلم ان همزة ابن الواقع هذا الموقع لا تحذف الا اذا كان مفرداً مضافاً الى ابيه فقط ، وحذفها يكون قياساً مطرداً* وربما اراد الاستاذ اثبات همزة ابن كأنها مبدوء بها موقوف عليها فاذا كان هذا مذهبه ففيه وجه ذكره صاحب اللمع النواجم .

وختاماً ، اني لأتقدم من اساتذتنا الكرام ان يتكرموا ويزعجوا انفسهم بالتفتيش في متون اللغة قبل ان يرسلوا احكامهم ارسالاً .

عيسى ميخائيل سابا

* الاشموني ، الشافية ، المفصّل ، الجمانة في شرح الخزانة .



قلب لبنان

لأمين الريحاني – ٦٠٨ صفحة – مطابع صادر ريحاني – بيروت

اذا رغبت ان تتعرف الى شخصية الريحاني عن كثب ، واذا شئت ان تطلع عن خفايا نفسيته ، ومراحل حياته ، ومختلف آرائه في الكون والمجتمع ، واذا اردت ان تجوب في لبنان ، ماضيه وحاضره ، فعليك بقراءة « قلب لبنان » .

هذه كلمة صادقة اقولها في هذا الكتاب الضخم الذي صدر حديثاً ويدهش القارىء بحجمه وهو عبارة عن « رحلات قصيرة في جبالنا » ويتساءل عما عسى ان تستوعبه هذه الرحلات على قصرها من الاطالة في الكلام او الاطناب في الوصف ؟ ولكن دهشته ستزداد اذا فتح الكتاب كيفما شاء وقرأ بضعة اسطر . اقول ستزداد لهذه الطواعية المرنة في التعبير والاسلوب ، ولهذه الصراحة الممتعة في السرد والتحدث ، ولهذه السعة الطليقة في الاطلاع وتقصي المعلومات واخيراً لهذه الدقة في الملاحظة والسخرية في النقد .

لقد ألف امين الريحاني ، وكتب ، عدة مؤلفات كان فيها احياناً العالم الفيلسوف الذي يطلع على الناس بآرائه المتطرفة الساخرة ، واحياناً اخرى الرحالة العربي الذي يجوب الآفاق ويسجل ما يراه من تقاليد وعادات ومقابلات مع كبار الشخصيات او صغارهم ، محللاً ، وناقداً ، وواصفاً . بيد ان القارىء لم يتعرف مع ذلك الى الريحاني المفكر المسترسل على سجيته ، والمتحلل من قيود « جدية » الابحاث العميقة ، و « رسمية » الرحلات والاكتشافات . الى ان صدر منذ اسابيع كتابه الجديد « قلب لبنان » .

رحم الله اميناً ! لعله لم يشأ ان يطلع على الناس بكتابه هذا في حياته ، او لعل الاقدار هي التي حالت بينه وبين اقامه كما هو الظاهر ، والا لكانت سخريته وصراحته تؤلمان بعض الاشخاص الاحياء من ابطال كتابه . ولكن ما بالي أتهم الرجل وهو لم يكن ليخشى ان تؤلم صراحته احداً او ليهتم بما تتركه آراؤه ونزعاته المتطرفة من اثر .

ولنعد الآن الى موضوع الكتاب وهو رحلات ، قام بها المؤلف فريدة في نوعها لم يسبقه الى طريقتها واسلوبها احد ، على كثرة من كتبوا ، رحلاتهم و وصفوا اسفارهم .

يقوم الريحاني مثلاً بنزهة ولنفترض في بيروت من « البرج » الى « باب ادريس » ومن منا لم يقم بمثل ذلك . فيمسك بيدك ويجعلك ترافقه خطوة خطوة منذ ان يخرج من عتبة المكان الذي يغادره الى ان يعود بك اليه . وتشعر وانت تقرأه وكأنك تقوم بهذه « النزهة » المرة الاولى في حياتك وتعجب لهذه الآفاق العديدة الرحبة ولهذه السعة في الملاحظات والاختبارات التي تتكشف لك عن اشياء كثيرة ، منها المحسوس ومنها المستوحى ما كانت قبلاً لتخطر لك على بال . فتعيش معه في جو الرحلة الخاص حتى لتحس انك تشاركه الخبز والملح ، وانك تدخل الى قرارة نفسه دون استئذان ، يطلعك على آرائه واسراره وأحاسيسه وما يشاهده حوله في الجهات الست . .

ولعمري ان كاتباً يستطيع ان يجعل قارئه صديقاً حميماً له بهذه السهولة ، لترجمة « رفع الكلفة » بينهما منذ السطرين الاولين لهي ميزة ندر من يتحلى بها بين الكتاب .

ان قلب لبنان يجعلك تعيش ساعات في هذه البلاد الصغيرة وفي احضان جبالها وقراها ، تستمع الى شخصيات لبنانية خالصة يتحدثون ويعملون ويفكرون وهم ظرفاء احياناً محببون الى النفس ، فتتعرف الى اخلاقهم وعاداتهم وطوائفهم ، بل قد تعجب اذا علمت ان قسماً كبيراً منهم ما يزالون احياء يرزقون . ويخيل اليك ايضاً انك تشاهد امامك فتنة تلك المناظر وجمال الصخور والاودية وخلود الجبال الناطحة السحاب ، وكل ما اودعته الطبيعة في لبنان من فن وسحر ومفاتن وهبات . وتلم مع ذلك بجغرافية البلاد وتاريخها القديم والحديث ، وهو تاريخ فيه تدقيق وفيه شمول وفيه تلميح ، فتخرج من الكتاب ، وكأنك عشت في لبنان ليس ساعات فحسب ، بل ردحاً طويلاً من الزمن قد يتجاوز الاحقاب والقرون . وتخرج من الكتاب مؤمناً بالطبيعة وقوتها وجبروتها كما آمن بها الريحاني « وادرك – الصفحة ٣ – انه في جبل القداسة وان كان ابناؤه يبنون الكنائس ، وانه كيفما اتجه

يرى للخالق أثراً في جمال الاودية وجلال الرواسي .» .

اما عقيدة الريحاني السياسية ، فتتجلى بين السطور نازعة نحو التحرر من الاستغلال والاستعباد ، نحو الاستقلال التام – لان الكتاب كتب على ما اعتقد حوالي السنة ١٩٣٨ – وهو مؤمن بلبنانيته فخور بها احياناً ، ولكنها ليست « لبنانية الاعتزال » بل اهي لبنانية عربية صافية حتى اني لاحظت إضافته كلمة عربية كثيراً على لبنانية اذا ما اراد التحدث عن الاخلاق والتقاليد عند ابطاله . والريحاني يستطرد ويمعن مع الاستطراد في رحلاته فيقوم مثلاً برحلة الى غياهب الزمن – الرحلة التاسعة – ليفرد لنا فصلاً طويلا ، يستغرق زهاء مئة وخمس وعشرين صفحة ، عن تاريخ الفينيقيين في لبنان حاول فيه ان يكون دقيقاً يتحرى النزاهة والعلم الخالص . وتحدث عن علاقاتهم مع الشعوب المجاورة كالفراعنة والميتانيين والحثيين الخ . وعن صناعتهم وفنونهم والفبائهم وتجارتهم مستعيناً بأوثق المصادر ، ومثبتاً ان الفينيقيين هم عرب الاصل نزحوا من الشواطىء العربية الشرقية – الصفحة ٤٦٥ – وهذه حقيقة يشكر المؤلف على ايضاحها .

وثمة ملاحظة ثانية تستحق التنويه هي قوة الذاكرة عند الريحاني . فقد كتب هذا الكتاب في عام ١٩٣٨ كما قلت ووصف فيه رحلات قام بها عام ١٩٠٥ او عام ١٩٠٧ وفيها من الملاحظات الدقيقة التي لا يمكن ان يذكرها احد بعد مضي هذا الزمن الطويل عليها .

وهذا عرض اظنه جاء وافياً لقلب لبنان آخر آثار « فيلسوف الفريكة » كتبه باسلوب طلي مبسط تلمح فيه اثر الهزل احياناً واثر التحرر من قيود « مشايخ » اللغة احياناً اخرى الا انه لا يخلو من متعة ومن تسلسل ، تجعلانه اقرب الى الاسلوب القصصي منه الى الاسلوب الادبي الخالص . والكتاب بجملته جهد رائع بقوة تصويره ودقة ملاحظاته ، وتنوع افكاره وموضوعاته .

اديب مروة

كرومويل ، بطل الثورة الانكليزية

للاستاذ قدري قلعجي – ١١٢ صفحة – منشورات دار العلم للملايين – بيروت

ان تأثير الفكر الغربي لا يقف عند حد التكوين الذهني للامور والحاجات العربية فحسب ، بل يتجاوز هذا النطاق العادي ليملي على الناشرين بعض الاصول والقواعد المتبعة في عالم النشر والطباعة في اوروبا واميركا . وهكذا تتجه ، منذ سنين ، بعض دور النشر في القاهرة وبيروت ودمشق ، وتستنفد وسعها ، لتطلع علينا مطابعها بسلسلة من التآليف التي تذكرنا بامثالها من منشورات فلاماريون وغاليمار وفايار وغيرها . ولنا امثلة على ذلك في سلسلة « الروائع » في تاريخ الادب العربي باشراف فؤاد افرام البستاني ، والسلسلة التي يخرجها الدكتور عبد الرحمن بدوي في الفلسفة اليونانية ، وروائع الفكر الغربي التي تطبعها دار النهضة في القاهرة الخ . . .

وكان من فاعلية روح الانتاج المتسق هذه ، التي تسم بطابعها جزءاً من انتاجنا العقلي ، استهداف التنظيم والترتيب في تصانيفنا . وقد اطلعت لنا طائفة من المؤلفين الشباب الذين ينصبون بكليتهم على اعمالهم ويتغلغلون حتى الاعماق البعيدة ، وحتى اجل الافكار واسماها تصوراً في الحياة العقلية التي لم يكن الجيل الشائخ ليبحث عنها الا قليلاً ، ويلمّ بها الا الماماً ضعيفاً .

ولا بد لنا ، في الوقت الذي نقر فيه بخصائص هذا المنهج ونتحقق قيمته المجدية ، إلا ان نجهر بالضعف الذي يسببه احياناً عند بعض المؤلفين كأحمد الصاوي محمد ، في القاهرة ، الذي لا يرى فيه الا طريقاً سهلة ميسرة ليرغّب في ما يكتب ، عدداً من القراء بلغ بهم التعطش الى قراءة نصوص الادب الخليع حداً بعيداً .

اما الاديب السوري الشاب الاستاذ قدري قلعجي ، فيسلك غير هذه الطريق في سلسلة مؤلفاته الصادرة بعنوان « اعلام الحرية » عن دار العلم للملايين في بيروت ، ويستقصي ابحاثه في موضوع يزخر بالفوائد . وليست هي المرة الاولى التي يوضح لنا فيها هذا المؤلف ان الثقافة الفردية لا تصبح شاملة عامة الا بثمن باهظ من الجهود المستمرة ، لا يكل صاحبها ولا يتوانى . وهذه النظرة تكشف لنا عن البواعث التي حملته على اختيار هذه السلسلة من الآثار الادبية التي يؤلف كتاب كرومويل الحلقة الثامنة منها . فسعد زغلول ، وابراهام لنكولن ، ومدحت باشا ، وروبسبيير ، وجمال الدين الافغاني ، وشوبان ، وصلاح الدين الايوبي ، وكرومويل ، لم يقع اختيار المؤلف عليهم في ابحاثه التاريخية لانهم طبعوا حياة اممهم بطابع شخصيتهم القوية ، بل لانه يراهم في امجاد المعركة التي قادوها ، دفاعاً عن الحريات الانسانية ، فردية وجماعية .

وهكذا نرى ان تاريخ الانسانية في نظره ليس الا تاريخ النضال من اجل الحرية . وهذا الفهم للحياة الانسانية هو من السمو بمكان عظيم ، وأولى به ان ينشر ويبشر به ولا سيا في امة كأمتنا ، فاللبنانيون والسوريون الذين ربحوا معركة الحرية بعد ان ابدوا ما ابدوه من صلابة وعناد ، هم اليوم ، اكثر ما

يكونون حاجة الى ان يتفهموا ، من جهة ، ان تخوم الحرية لا يمكن ان تحد بتخوم الارض اللبنانية او الارض السورية ، ومن جهة اخرى ، ان الحرية السياسية ليست كل ما يطالبه ويتوق اليه شعب فخور بماضيه شديد الاعجاب به . وكم في حياة « اعلام » الاستاذ قدري قلعجي ، التي يعرضها بمعرفة واسعة وظرف بارع ، من امثلة ونماذج ودروس لكل لبناني كلف بقيم الوجود الروحية مولع بمدى الفكر . فانت تقف في « كرومويل » على سيرة جمهورية انكليزية لم يطل امرها كثيراً ، ولكنها أنعمت على انكلترا بتقاليد برلمانية اتخذتها الانسانية نموذجاً لها . فهذه التقاليد والسنن ، بعد ان اوحت يوماً ما اوحت لمونتسكيو وفولتير ، هي التي مدت الثورة الكبرى ، التي ضمنت انتشارها في القارة الاوروبية ، بالعقيدة والروح .

يتآلف في شخصية كرومويل الرسول الديني المؤمن ، والثائر الاشتراكي المتحمس ، والقائد العسكري الظافر ، ورجل السياسة الكامل . وهكذا وجدت فيه البورجوازية الانكليزية التي اتعبتها تقلبات الملكية الجائرة واهواؤها النهمة ، مع خاصة السلالة المالكة ومن يحيط بها ، القائد الجسور في طريق الحرية والديموقراطية . ولم يكن باستطاعة انسان ان يتصور ان ثورة كرومويل تنتهي ، في بلد شديد المحافظة كانكلترة ، بالجمهورية . انما يسبق القائد الثوري غالباً بالظروف والحوادث التي تخلقها جهوده واعماله . يقول المؤلف في صفحة ٥٦ : « لم يكن غرض كرومويل الغاء الملكية بل تحديد سلطتها واخضاعها لارادة الشعب . وهو ان كان قد اعتقل الملك فانما رمى من وراء ذلك الى التفاهم معه او بالأحرى الى فرض ارادة الشعب عليه بحمله على اقرار نظام دستوري يكفل له حقوقه وحرياته . وكان يخيل اليه في بادىء الامر ان التفاهم مع الملك ممكن ما دام هو ايضاً يحرص على حرية الضمير ويعارض البرلمان في فرض عقيدة دينية معينة على الامة . ولكنه ما لبث ان ادرك خطأه بعد مفاوضات طويلة دارت بينه وبين شارل الاول . » .

امـا الملك فقد سعى ، متمسكاً بحقه الالهي القديم ، الى الخسارة ومهد الطريق لسقوط الملكية ، فكان ان قضى البرلمان الانكليزي ، وهو يعلن ان الامة وحدها هي مصدر السلطة باستدعاء الملك امام هيئة العدل العليا التي حكمت عليه بالموت ويُروى ان كرومويل وقف لحظة امام جثة الملك بعد تنفيذ حكم الاعدام وقال ، وهو يتأوه لاهفاً : « انها ضرورة قاسية » (ص٦٢) .

وتطلعت عروش اوروبا بغصة وغم الى المصير الكئيب الذي انتهى اليه الملك الانكليزي . ويقول المؤلف : « ولا بدع في ان يهتم ملوك اوروبا كلهم بمصير شارل الاول ملك انكلترا ، لان النهاية التي انتهى اليها والحزم الذي اظهره كرومويل في ملاحقته ومحاكمته والحكم عليه ، كان لها اثرها الكبير في الشعوب الاوروبية التي كانت تتابع باهتمام انباء ذلك الصراع العظيم بين الحرية والطغيان ، واثقة من ان هذا الصراع لا ينشب من اجل جيل واحد من الناس او بلد واحد ، اذ ان مصاير الجنس البشري باسره كانت ، ولا تزال ، مرتبطة اشد الارتباط بحرية الشعب الانكليزي ونضاله في سبيل المبادىء الديموقراطية التي نودي بها في ذلك الوقت لاول مرة في تاريخ اوروبا الحديث . » (ص٦٢) .

واعلنت الجمهورية على اثر موت الملك ولقب كرومويل بحامي الجمهورية بعد ان اجتنب لقب « رئيس » ! وعندما عرض عليه البرلمان عرش انكلترة واسكوتلندة وايرلندة رفضه رفضاً باتاً ، لا ، لانه لم يكن السيد المطلق في هذه الاراضي التي انشأ فيها جيوشاً ديموقراطية ووطد اركانها ، بل « لان ثمة عوامل عديدة ، حسب رأي المؤلف ، حملت كرومويل على رفض هذا اللقب ، منها اعتقاده بأن صعوده على العرش سيفقده صداقة قسم كبير من الجيش ولا يكسبه سلطة جديدة على البرلمان او على الامة ، ومنها شعوره العميق بأن قبوله هذا المنصب خيانة لمبادئه القديمة ولرفاقه الذين حاربوا الملك الى جانبه ، ولكن اعظم هذه العوامل هو ذلك التقى الاصيل في نفسه والذي كان يخيل اليه انه انما يقدم على اعماله كلها بوحي من الله ، وقد كان يستلهم هذا الوحي من طموحه الشخصي احياناً ومن ارادة المحيطين به في احيان اخرى . لقد كان يؤمن بأن قضاياه الشخصية ممتزجة بقضية الله . فاذا طمح مرة لاحتلال مقام أوهم نفسه بانه انما يطمح لاحتلاله كي يكون اكثر نفعاً وخدمة لقضية الله واذا نجح في امر لم يقل لنفسه : « لقد كنت بارعاً » بل قال : « ان الله يؤيدني » . وقد اتسم طموحه في موقفه من العرش بالحيرة والتردد فلم يستطع ان يتحول الى قوة دافعة يستطيع ان يسميها نداء الله ، فالتمس هذا النداء في اصحابه الاتقياء الذين يعتقد بانهم اقرب من غيرهم الى الله ، فلم يجد عندهم ما يشجعه على القبول . » (صفحة ٩٥) .

وبعد ما رفض كرمويل العرش الذي عرض عليه وعلى عائلته من بعده ، اخذ الشعب يمهد الطريق لرجوع العائلة المالكة التي خلعها بنفسه . ولم ينتظر الشعب الانكليزي بعد موته ، وهو ملكي العقيدة ،

خمسة عشر يوماً حتى اسند ، في التاسع والعشرين من شهر ١٦٦٠ ، للملك شارل الثاني عرش انكلترة واسكوتلندة وايرلندة . وبعد بضعة اشهر سُحبت جثث ابطال الثورة الثلاثة : كرومويل ، وايرتون ، وبرادسهو ، من قبور وستمنستر وشنقت وعلقت يوماً كاملاً في الساحة العامة . وكانت هذه الفعلة عقاباً لاولئك الذين حاولوا هدم وضع ذي اصول عميقة في تقاليد الشعب ، وان ناضلوا لدفع استبداد ملكٍ طاغية .

والنتيجة التي ينهي بها المؤلف كتابه لا تفتقر الى تلقين القارىء الامثولة المستخلصة من جملة هذه السيرة الفاجعة ، فيقول . « صحيح ان الحكم الجمهوري قد زال ، وعاد الحكم الملكي الى البلاد ، ولكن هذا الحكم نفسه لم يبق في الوسع ممارسته باساليب الاستبداد والطغيان . وما لبث الشعب الانكليزي ان اثبت ذلك بقوة الحراب ، فاعلن في سنة ١٦٨٨ ثورة جديدة ، سميت « الثورة المجيدة » كانت تتمة لثورة سنة ١٦٤٢ ونهاية منطقية لها ، انزلت جيمس الثاني خليفة شارل الثاني عن العرش ، ونصبت مكانه زوج ابنته وليم الثالث امير اورانج رئيس الحكومة الهولندية ، بعد ان وضع الثوار بياناً بحقوق الشعب اقره وليم الثالث وتعهد وزوجه ماري بأن يحكما وفقاً لشروطه . ثم اصدر البرلمان « قانون الحقوق » الذي نقل السياده العليا من الملك الى مجلس نواب الامة ، واعلن بوضوح ان الملوك انما يستمدون سلطتهم من ارادة الشعب وليس من مجرد ولادتهم ، وان للبرلمان الذي يمثل هذا الشعب الحق في ان يخلع اي ملك شاء ويحرم ورثته من العرش وينقل التاج الى اسرة جديده ، وانه لا يحق للملك الغاء القوانين اوانتحال اية صفة قضائية ، او ضرب الضرائب على الامة ، او ابقاء جيش عامل في وقت السلم ، الا بموافقة البرلمان . وادمجت جميع هذه المواد في الدستور الانكليزي واعترف بها كجزء من قانون المملكة الاساسي ، فاستأصلت نهائياً تلك العقيدة القائلة بأن للملوك حقاً الهياً في عروش اسلافهم لا ينقل لغيرهم وانهم فوق كل انتقاد او سلطة بشرية لانهم انما يحكمون بلادهم بالنيابة عن الله ، وكان ذلك حداً فاصلاً في تاريخ انكلترة بين عهد الاستبداد وعهد الحكم النيابي الدستوري . » (ص ١٠٦) .

حسن صعب

بين النيل والنخيل

للسيدة وداد سكاكيني – ٢٠٨ صفحة – دار الفكر العربي – القاهرة

لعل المصريين اجدر من سواهم بالكتابة عن هذه المجموعة القصصية المصرية التي فاض بها اليراع المكين للسيدة وداد سكاكيني ، فقد مكثت الكاتبة في ربوع وادينا ثلاثاً من السنين طوفت فيها في ربوع مصر : صعيدها وثغورها وحاضرتها ، وارتادت مجامعها : مجامع العلم ونوادي الادب ودور الترفيه ومرافق الثقافة فانطبعت في ذهنها من تلك الزورات صور ورؤى ، وازدحم رأسها بكثير من المرئيات فاعتزمت ان تدونها على الطرس بعدما دونت على شغاف القلب ، وتطلع عليها جمهرة القراء بعدما اطلعت عليها نفسها .

واول ما يستوقف البصر في هذه المجموعة الطلية ان الاديبة وداد سكاكيني جنحت الى الرغبة في التسجيل الفوتوغرافي اكثر من رغبتها في التصور والتخيل . فأقاصيصها تحمل سمة الواقعية ، واكاد اجزم بأنها واقعية ، وصورها لم تمتد اليها « رتوش » ولم يقربها طلاء . فجاءت مصداقاً صحيحاً لمصر اليوم : مصر التي تتعثر بين حضارات متفاوتة بعض سكانها متأثر بأصله التركي فتغلب على كلامه اللكنة التركية وبعضها متأثر بثقافته الفرنسية فيميل الى التفرنس في الحياة وفي الحديث ، وبعضها تقيده قيود الرجعية فاذا وجد منفذاً انطلق انطلاق نزق وتطرف ، وبعضها ما فتىء سادراً في سذاجته وطيب فطرته فيفلسف الحياة فلسفة تخاذل وتواكل ويلقي على « القدر » اكداساً من الملامة والتبعات .

هذه هي مصر . صورت السيدة وداد سكاكيني في كل اقصوصة من اقاصيصها ناحية معينة منها ليستطيع القارىء بعد الفراغ من تلاوة كتابها ادراك فكرة صحيحة عن الحياة في وادي النيل . ففي الاقصوصة الاولى – وهي أطولها – صورة لأثر المترفين الثراة في مصر ، وفي الثانية تلميح الى حياة السياسة والعوامل التي تؤثر فيها وفي الثالثة ابراز لتعلق المصريين – من سكان القصور وسكان الجحور – بطعام الفول المدمس الشعبي ذلك الطعام الذي تراه حتى على مائدة ملك البلاد وسيدها . وفي قصة اخرى تبين عادات المصريين وايمانهم بالخرافات التي تناقلتها الاجيال فغدت لها صفة العقائد الثابتة . . وهكذا .

ومما يذكر للمؤلفة بالثناء انها ما تحاملت على واد اضافها اعواماً ، وما فقدت اهله الا فقد رفيقاً رحيماً ، وما عنفت المسيئين اليها وان كنت اعلم انه اصابها من الاساءة كثير . فكانت السيدة وداد كريمة في ادبها ، كرمها في خلقها تقبل كل ما يصادفها في مصر بسماحة وبشاشة لانها تحب مصر وتحب اهليها . وهي بذلك تيسر لأهل المشرق ان يفهموا اتجاه الحياة في مصر

وما يتعاورها من عوامل .

بقيت ناحية تبدو للقارىء جلية وضاءة في كتاب « بين النيل والنخيل »، وتلك هي البيان الانيق الذي يحيط بكل صورة تصورها السيدة وداد كأنه اطار مطلي بالمفضض والمذهب . فاللغة ترخي للسيدة الادبية عنانها وتفتح امامها كنوزهـا فتغرف منها باليمين واليسار وتجمّل بها صفحات كتابها . وخير ما يوصف به كتابها ان يقال فيه انه معرض للصور الفوتغرافية عن مصر تأنقت صاحبتهـا في اختيار اطارها لا تأنق افتعال بل تأنق فطرة .

القاهرة — وديع فلسطين

فوزي المعلوف

للدكتور فائز عون – ٢٠٠ صفحة – بالافرنسية – طبع باريس

لست ادري ما الذي حدا بالدكتور عون ، الى انتقاء فوزي المعلوف موضوعاً لاطروحته التي نال عليها شهـادة الدكتوراه من السربون عام ١٩٣٩ ، فرفع قيمة هذا الشاعر المحاق الى قمة المجد والخلود وجعل منه شاعراً عالمياً، تقرأ شعره ادباء الفرنجة وشعراؤها، فيشعرون انهم في اعماق الخيال .

هذه الاطروحة مؤلفة من مئتي صفحة تقريبـاً من الحجم الوسط ، طبعت على ورق عادي . وكم كنـا نود لو تبرع احد اثرياء آل المعلوف ، فطبع الاطروحة على نفقته الخاصة وعلى ورق ممتاز ، وقام على تعريبها وطبعها طبعاً يستحقه شعر فوزي ، وذلك ضمانة لانتشار شعره ، ودعامة كبرى لخلوده .

ويقسم الدكتور عون اطروحته الى توطئة وثلاثة اقسام . ففي التوطئة يحلل الشعر العربي في القرن العشرين، والانحطاط الادب ايام الاحتلال التركي، والجامعات الاجنبية المنتشرة آنذاك ثم ينتقل الى البيئة العائلية التي انحدر منها الشاعر وعاش معها واكتسب منها، والى زحلة المدينة التي ولد وترعرع فيها، ودرج تحت سمائها الصافية، وبين كرومها الخضراء وبساتينها الناضرة ، وما توحيه هذه المناظر وتلك البيئة من وحي يجعل الحس مرهفاً شفافاً ، والخيال رفيقاً محلقاً . وفي الاقسام الثلاثة يتكلم الدكتور في اولها عن طفولة الشاعر ، وظهور شاعريته منذ نعومة اظفاره وتنقله بين لبنـان وسوريا والوظائف التي شغلها . وفي القسم الثاني يحلل حالة فوزي في وظيفة لا تسد فراغاً في نفس طماحة وثابة كنفس فوزي، وكيف اضطر شاعرنا الى مغادرة لبنان الحبيب على قلبه ، لبنان بلد الحب والجمال ، بلد الخيـال والسماء الصافية الاديم والطبيعة الهادئة الساكنة ميمماً شطر البرازيل وامتهانه التجارة فيهـا ، هذه المهنة البغيضة على قلب الشاعر والتي يلقبها بنير العبودية في عنقه :

حتام نيرك مشدود الى عنقي … القيه عني من آن الى آنِ
يا للتجارة صارت بيننا صنماً … لم يلقَ منا سوى عباد اوثان
نقضي ونحن وقوف في هياكلها … مستعبدين بارواح وابدان
وعجلنا الذهبي – المال – تبهرنا … انوارة وهي ليست غير نيران

وينتقل بنا الدكتور عون الى ملحمة الشاعر الكبرى – (على بساط الريح) وهنا لا يسعنا الا ان نهنىء الدكتور عون على تلك الترجمة الموفقة جد التوفيق ، اذ لا تبدأ في قراءة ما ترجمه الدكتور من هذه القصيدة – وقد ترجم اكثرها – حتى تخالك تقرأ شعراً انزل وحيه بالفرنسية ولا تصل الى (قرب النجوم) حيث يناجي الشاعر نجمته :

ايه يا نجمتي ألم تعرفيني … شاعراً ينصت الدجى لنواحه
كم ليال في الروض احييها … ابكي واشكو اليك بين اقاحه
ساكباً في الفؤاد من طرفك السيال … بالنور باسماً لجراحه
سامح الله فيك قلباً نسياً … هو في الكون مثل قلب ملاحه

او تصل الى (اوراق متناثرة) حيث يحاق فوزي يسترحم نجمة الليل :

نجمة الليل رحمة فضلوعي … من شجوني ، تتمزق
كفكفي السيل . انه في دموعي … من عيوني يتدفق

حتى تخالك تقرأ زفرات صخابة من ليالي موسيه وتأوهات جارحة من قلب لامرتين وفيني ولا تصل الى قول فوزي :

ضاع عمري سعياً وراء رسوم … خططتها في الشاطىء الاقدام
عشت ابني على الرمال وهل … يثبت ركن له الرمال دعام؟

حتى تظنك من هيغو في آلامه واحلامه اذ عب فوزي من ينابيع هؤلاء الشعراء فتأثر بهم اي تأثر ، وهذا ما جعل فوزي مجدداً بين شعراء عصره حتى تتلمذ له كثيرون فساروا على منواله متلمسين خطاه (الاطروحة ص ١٦٠) .

ولا يسعنا الا ان نردد ما قاله البرفسور مـاسينيون : « ان الدكتور فايز عون قد « خلّد » فوزي المعلوف في اطروحته » .

وينتقل الدكتور عون الى القسم الثالث ، بعد ان يتكلم عن موت فوزي الذي ملأ فراغاً لا يسد في الشعر العربي، والذي وضع حداً لتشاؤمية هذا الشاعر الفذ ، فيتكلم عن شعوره المرهف في

وصف جمال الطبيعة وعن حبه لوطنه لبنان وكيف تمنى فوزي ان يطول عمره « ليخدم امته وبلاده ولغته » .

ويقارن الدكتور بين فوزي وامير الشعر في قصيدة نظمها الشاعران اثر موت اللورد كارنافون بعد ان يذكران فوزي نظم قصيدته وهو في الخامسة والعشرين ، وكان يومئذ في البرازيل وشوقي في مصر ، وبعد ان يحلل القصيدتين ويعطي فوزي الافضلية ، يستشهد بما قاله خليل بك المطران في صور القصيدتين : « عند قراءة القصيدتين تحسب ان شوقي كان غائباً وان فوزي كان من معاصري الفراعنة » (الاطروحة ص ١٥١) .

نأخذ على الدكتور عون في هذه الناحية عدم ترجمته لشيء من القصيدتين ليتمكن القارىء الفرنسي ان يقارن بينهما بنفسه ، كما نأخذ عليه عدم نشره قصيدة فوزي بالعربية في آخر الاطروحة كما فعل بالقصائد التي ترجمها او تكلم عنها ، لان قصيدة فوزي في اللورد كارنافون تعد حقاً من امهات القصائد .

وينهي الدكتور عون اطروحته بقوله : « اتفقت الآراء بعد موت فوزي على انه شاعر عربي كبير حتى ذهب فريق الى التشيع لعبقرية فوزي » . ثم يقول : « من المحقق ان فوزي عدو العبودية في المدنية الحديثة ، كان اول المنشدين لحن التقدم والتجدد » ويطلق على شاعرنا لقب زعيم المجددين فضلاً عن انه فنان كبير اعطى الشعر العربي سهولة ورنة موسيقية لم تكن من قبل ، كما انه قرب الشعر العربي من المعاني الغربية ، وهذا ما يعطي انتاجه الادبي لوناً جميلاً وطابعاً خاصاً .

ويعطي الدكتور رأيه بفوزي قائلاً : « اذا تركنا الكلام عن عبقرية فوزي ، يمكننا القول بلا وجل ان فوزي المعلوف له فضله ومكانته السامية في تطور الشعر العربي الحديث وان الاجيال المقبلة ستحتفظ له بتلك المكانة » .

هذا ولا يمكننا قبل ان نختم بحثنا في كتاب الدكتور عون الا ان نطلب اليه ان يكمل خدمته للادب العربي وللتاريخ بان يعرّب لأبناء الضاد الذين احبهم فوزي ، كتابه ونقترح عليه ان يضيف اليه ما فاته يوم كان في اوروبا .

ميشال مجار

ذكرى الهجرة

للاستاذ توفيق ضعون – ٥٥٨ صفحة – سان باولو البرازيل

اذا ما ذكر لبنان ، فلا بد ان يذكر معه شطره المغترب ، في الاميركتين ، قوم دعاهم داعي الجد والعمل ، فشمروا عن سواعدهم وخاضوا البحر ، الى مكان ناء بعيد ، يشقون فيه طريقهم في الحياة حتى اصابوا حظاً يحسدون عليه ، واحتلوا المكان اللائق بامثالهم ، فقد ورثوا عن آبائهم حب المغامرة والكفاح في سبيل العز والسؤدد. ولا عجب ان يقوم فيهم ، في مطاوي الغربة رجل يؤرخ لحياتهم واخبارهم منذ وطئوا ارض المهجر ، الى اليوم ، في كتاب ضخم كان رسالة المهاجرين السوريين واللبنانيين الى اخوانهم المتخلفين – على حد تعبير المؤلف – متقمصاً شخصيتهم ومعبراً عن رأيهم وراسماً منهم صورة تنطبق على حقيقتهم قبل الهجرة ، وفي مختلف مراحلها وادوارها وحوادثها .

بدأ المؤلف كتابه بذكر الدوافع التي دعت اللبنانيين الى الهجرة وما كابدوه في اول الامر من عناء وجهد في سبيل توطيد اركان اقامتهم في البلاد التي هاجروا اليها .

ثم راح بعد ذلك يذكر بالتفصيل المؤسسات ، والمهمات ، والمستشفيات الخيرية ، والجمعيات التي تشرف عليها كما انه لم ينس جهاد المرأة في مختلف الحقول ، وتطرق بعد ذلك الى معاهد العلم والتهذيب وبين ما لها من فضل وخدمات على النشء هناك ، بالاضافة الى النوادي المختلفة كالنادي الحمصي ونادي الارز ونادي جبل لبنان الرياضي ونادي راشيا .

ولم ينس الادباء وفضلهم ، وتضحياتهم في سبيل تعليم الكثيرين من المهاجرين وتهذيبهم ، وما لهم من يد طولى في اظهار فضل الكثيرين والاشادة بفضائلهم وتعريفهم الى جميع الناطقين بالضاد في كل قطر ، الذين لولاهم لظل هؤلاء نكرات حيث هم وفي كل مكان .

وقد خصص فصلاً ليعرفنا بتلك العصبة الفاضلة « العصبة الاندلسية » التي انشئت عام ١٩٣٣ وراحت تؤدي رسالتها على اتم شكل ، وكانت صلة ادب وثقافة وتفاهم بين ابناء العربية .

ومما زاد في قيمة الكتاب تحليه بصور جميع من ارخ لهم . كل هذا في صراحة بلغت اقصى حدودها باسلوب فكه احياناً ، جميل جذاب ، وسهولة في التعبير .

« مصطفى »



٢٧ كانون الاول ١٩٤٧ – قدمت الوزارة الاردنية برئاسة سمير باشا الرفاعي استقالتها .

٢٩ – توفي في مصر ملك ايطاليا السابق فيكتور عمانوئيل .

– شن مئة الف مسلم من مقاطعات الباكستان هجوماً عنيفاً على ولاية كشمير .

– شنت القوات النظامية اليونانية هجوماً مضاداً ضد قوات الجنرال ماركوس الثورية ، حائلين دونه ودون احتلال مدينة كونيتزا .

– القى الصهيونيون قنبلة على بوابة الشام في القدس فراح ضحيتها ٩٠ قتيلاً وجريحاً .

٣٠ – تنازل ميشيل ملك رومانيا عن العرش وعن جميع الحقوق والصلاحيات المعطاة له ، بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن خلفه . وبذلك اصبحت رومانيا جمهورية .

– قررت الحكومة الهندية رفع قضية كشمير الى مجلس الامن .

٣١ – رغماً عن اشتداد المعارك في فلسطين فقد صرحت الدوائر البريطانية المطلعة عن عزم بريطانيا الاكيد في انهاء الانتداب في الخامس عشر من ايار سنة ١٩٤٨ .

– شيع جثمان الملك عمانوئيل الى مقره الاخير في الاسكندرية في مأتم رسمي اشتركت فيه فرق من الجيش المصري .

٢ كانون الثاني ١٩٤٨ – اعلن وزير خارجية الباكستان ان الباكستان رفضت الاقتراح الهندي بوجوب تحويل قضية كشمير الى هيئة الامم المتحدة .

٣ – اعلنت نظارة البحرية الاميركية ان فصائل القوى البحرية الاميركية المرابطة على متن سفن الولايات المتحدة في البحر المتوسط سيزاد عددها .

٤ – شن رئيس الوزارة البريطانية هجوماً عنيفاً على النظام الشيوعي وقال انه يهدد اوروبا الغربية بنوع جديد من الاستعمار ويقتل الحرية الفردية ويحارب العدل الاجتماعي ويكم الافواه .

– تم استقلال بورما ، واحتفل بانزال العلم البريطاني عن قلعة المدينة للمرة الاولى منذ ستين عاماً ورفع العلم البورمي مكانه .

٥ – غادر بغداد الى لندن اعضاء الوفد العراقي الذين سيتفاوضون مع الحكومة البريطانية لتعديل المعاهدة البريطانية العراقية المبرمة عام ١٩٣٠ .

– نسف اليهود السراي القديم في يافا وفندق سمير اميس في القدس وكانت الضحايا ٥٥ قتيلاً و٩٨ جريحاً .

– وقعت اتفاقية الارصدة الاسترلينية بين مصر وبريطانيا .

٦ – عقد مجلس النواب المصري جلسة هامة القى فيها النقراشي باشا بياناً اكد فيه اصرار مصر على طلب الجلاء التام ووحدة وادي النيل .

– نجحت مساعي الامير عبد الكريم الخطابي لتأليف « لجنة تحرير المغرب العربي » الممثلة لجميع الاحزاب الاستقلالية في كل من تونس الجزائر ومراكش التي تدعو الى استقلال الاقطار العربية الثلاثة .

٧ – ارسل ممثلو بريطانيا في بلغراد وصوفيا الى الحكومتين البلغارية واليوغوسلافية عما سيكون لعملها من نتائج اذا اعترفتا بحكومة اليونان الثورية .

– وقع اربعة عشر نائباً في المجلس الايراني على مذكرة يطلبون فيها الغاء اتفاق البترول البريطاني الايراني .

٨ – اقفلت الحكومة اللبنانية جميع مكاتب الحزب الشيوعي وصادرت ما وجدته فيها من وثائق .

– نالت الوزارة الايرانية برئاسة السيد حكيمي الثقة باكثرية الاصوات .

٩ – عقدت اللجنة الخاصة لفلسطين اجتماعها الاول بلايك ساكسيس ، وقد اكد المستر تريغفي لي ان مجلس الامن سيأخذ على عاتقه تبعة تنفيذ قرار الجمعية بتقسيم فلسطين .

– صدر مرسوم في رومانيا بتعيين الدكتور بارهون رئيساً للجمهورية الرومانية .

١٠ – ارسلت فرنسا الى الحكومتين البريطانية والاميركية مذكرة احتجاج على اثر اقرار مبدأ تأليف حكومة مركزية لالمانية الغربية .

١٢ – صام غاندي حتى الموت الى ان يتم التفاهم بين الهندوس المسلمين .

– عزز الجيش اليوناني مراكزه في كونيتزا ولا يزال محتفظاً بالتفوق بالعمليات الحربية ضد الثوار .

– طلب سلطان مراكش من رئيس الجمهورية الفرنسية استدعاء المقيم الفرنسي العام الجنرال جوان .

١٣ – الغت الوزارة الايرانية الاحكام العرفية التي كانت قد اعلنت في سنة ١٩٤١ .

– اعيد انتخاب المسيو ادوار هريو رئيساً للمجلس النيابي الفرنسي باكثرية الاصوات .

١٤ – اطلق اليهود النار على القنصلية السورية في القدس .

١٥ – عقدت لجنة فلسطين الدولية جلسة سرية استمعت فيها الى بيان السر الكسندر كادوغان مندوب بريطانيا الذي شرح فيه وجهة النظر البريطانية حول مستقبل فلسطين .

– وقعت في ميناء بورتسموث المعاهدة العراقية – الانكليزية الجديدة لمدة عشرين عاماً قابلة للتبديل بعد خمسة عشر عاماً .

١٦ – صرح ترومان بان اميركا تسعى الى انشاء بوليس دولي لفلسطين .

– بدأت المباحثات بين الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسية المتعلقة بالعلاقات الاقتصادية والمالية بين البلدين .

١٧ – التوتر شديد في برلين بين قوات بريطانيا واميركا وروسيا .

١٩ – انهى المهاتما غاندي صيامه بعد تعاون المسلمين والهندوس والسيخ لانقاذ حياته .

– اذيع ان المرشال ستالين يشكو من شلل جزئي في شقه الايمن مما يجعله عاجزاً عن تحريك ذراعه وساقه .

– اطلقت الطائرات المصرية النار على طائرتين بريطانيتين لتحليقها فوق صحراء سينا .

٢٠ – الطلاب العراقيون يقومون بالمظاهرات احتجاجاً على المعاهدة ويسقط ٥ قتلى و١٠٠ جريح .

– شجبت جريدة الازفستيا لسان حال الحكومة الروسية الموقف الذي وقفته الجامعة العربية ازاء قضية فلسطين .

– القيت قنبلة امام المهاتما غاندي بينما كان يلقي الخطاب الاول اثر انهاء صيامه وقد انفجرت دون ان تحدث ضرراً .

مطابع صادر ريحاني ، بيروت ، لبنان